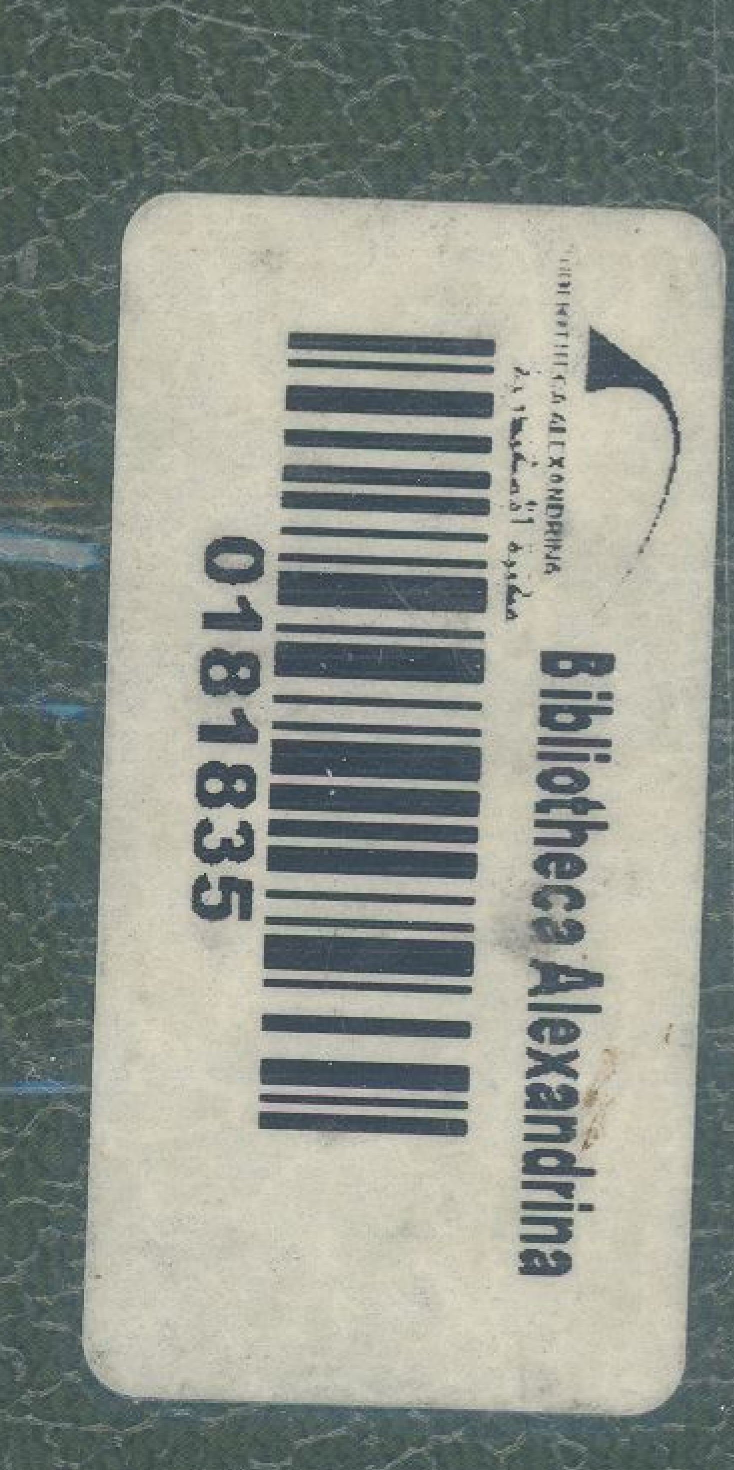

Bibliotheca Alexandrina
0181835

الملف السرى للملك فاروق



تأليف
هيوج ماكليف
ترجمة
احمد فوزى

الملف السرى للملك فاروق

تأليف: هيوج ماكليف ترجمة: أحمد فوزى

دار الهلال ١٩٧٧

الف السرى للملك فاروق
اصدرته دار الهلال
((قسم النشر))

***

رئيسة مجلس الادارة :
امينة السعيد

نائب رئيس مجلس الادارة
صبرى ابو المجد

***

رئيس القسم :
رجاء النقاش

سكرتير التحرير :
غنيم عبده

المدير الفنى :
احمد فاضل

نائب سكرتير التحرير :
موريس عزيز

***

نوفمبر ١٩٧٧ .

فهرس

فهرس الكتاب


مقدمة



ترجع أهمية الكتاب الذي نقدمه هنا ، الى انه يغطي بالتفصيل تاريخ حقبة عصيبة من حياة بلادنا ، من خلال تاريخ آخر ملوك مصر .. الملك « فاروق » ــ الذي ظل مصير شعبنا ومقدراته وثرواته نهبا له لفترة من الزمن عاشها « فاروق » لملذاته وأهوائه ، ولم يراع يوما أنه يحكم دولة من أعرق دول العالم ، يرجع تاريخها الى سبعة آلاف عام، وكانت مهدا لأعرق حضارة شهدها التاريخ .

والكتاب يكشف كذلك ، بالتفصيل ، الجانب الخفي والشخصي جدا من حياة الملك « فاروق » ، ويبين الأسباب الرئيسية التي ادت الى انهيار نظامه وزوال الملكية نهائيا من مصر .. كما يكشف النقاب عن شذوذه ومغامراته وعلاقاته النسائية المريبة وخاصة مع الممثلة اليهودية « ليليان كوهين » التي عرفت باسم « كاميليا » ، وهي التي بلغت قمة علاقته بها أثناء معركة العرب المصيرية من أجل فلسطين ومصير شعبها الذي انقضت عليه الصهيونية والاستعمار وسلبته وطنه وأرضه ، في فترة كانت مصر خاضعة فيها لحكم ملك فاسد ومستهتر وخائن .

كذلك ترجع أهمية هذا الكتاب الى انه يكشف أسرار حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ المؤسف ، والظروف الغريبة التي

صاحبته ، عندما بعث السفير البريطانى سير « مايلز لامبسون» انذارا للملك « فاروق » يعرض فيه أمامه خيارين : إما تعيين « النحاس » باشا رئيسا للحكومة المصرية ، او التنـــازل عن العرش . وحاصرت القوات البريطانية يومها قصر عابدين كاجراء تهديدى . لكن يبدو أن «فاروق» لم يكن فى حاجة لـكل هذا ، اذ مالبث أن رضخ . مؤثرا عرشه ومايعنيه هذا له من جاه وثروة لا تنفد ، على كرامته وكرامة الأمة التى وثقت به ..

ومادة هذا الكتاب استقيتها أساسا من كتاب « آخر ملوك مصر » تأليف الانجليزى « هيوج ماكليف » الذى يقول فى مقدمته انه قد جمع مادة كتابه من اتصالاته وتحقيقاته الشخصية مع أفراد عاصروا أحداث تلك الفترة من حياة مصر عن قرب ، ومن وثائق رسمية .

الا أننى ، وانا اعد مادة هذا الكتاب ، وقع فى يدى عرض واف لكتاب آخر عنــوانه «فاروق مصر » ، تأليف الانجليزى « بارى كلير ماكبرايد » ، يركز اهتمامه اساسا على حادث ٤ فبراير . ورغم انه لايزيد كثيرا فى معـــــلوماته عما ورد فى هذا الكتاب ، الا انه يتضمن بعض التفاصيل والأسرار التى رأيت من الضرورى أن أوردها هنا ، كى تكتمل الصورة .

من تلك التفاصيل الهامة ، عرض لردود الفعل الداخليـة والخارجية لحادث ٤ فبراير ...

ومن هذه الردود ، يقول « ماكبرايد » أن « جوبلز » ، وزير دعاية « هتلر » ، كتب فى مفكرته بعد حادث ٤ فبراير وتولى « النحاس » باشا رئاسة الحكومة المصرية بأربعة أيام :

« ان اعادة تشكيل الحكومة المصرية لم يحدث تغييرات مثيرة اذ اعلن « النحاس » باشا أنه يعتزم تنفيذ المعاهدة مع انجلترا

دون أية تحفظات .. الا انني مازلت آمل أن يتصرف بصورة أكثر ايجابية تجاهنا » .

ومن التفاصيل الأخرى التي أوردها « ماكبرايد » عن حادث ٤ فبراير ، أن الملك « فاروق » أعلن أمام أصدقائه ومعاونيه أنه قال للسفير البريطاني سير « مايلز لامبسون » عندما طلب منه اما تعيين « النحاس » واما التنازل عن العرش :

« عندما اكون مستعدا للتنازل ، ياسير « مايلز » ، فانني سوف افعل ذلك عن طيب خاطر وبرغبتي التامة ، وبلغة شعبي . انني لن أوقع هذه الورقة « وثيقة التنازل » ، وسوف أعين « النحاس » باشا رئيسا للحكومة ، لكنني أفعل هذا فقط للحيلولة دون اراقة الدماء في شوارع القاهرة ، لكنك ، ياسير «مايلز» ، سوف تأسف على هذا التصرف الى الأبد » .

كما قال « ماكبرايد » ان الملك صدم كثيرا ، وحلت به موجة عارمة من الضيق والغضب ، بسبب ماحدث له ، وانه أعلن في اليوم التالي أنه قد تسلم مذكرة خاصة من جنرال « ستون » ، قائد القوات البريطانية في مصر والشرق الأوسط في ذلك الوقت ، والذي شارك « لامبسون » في تقديم الانذار لـ « فاروق » ، قال فيها :

« مولاي ، انني اعتذر كثيرا عما حدث بالأمس ، وأنا أعرف انك سوف تدرك انني رجل عسكري ، ولابد لي من أن أطيع الأوامر . »

ويضيف « ماكبرايد » : الا أن « لامبسون » نفى أن يكون « فاروق » قد تجرأ على قول ذلك أمامه ، كما ان جنرال « ستون » انكر تماما أنه قد بعث بمثل هذا الكلام لـ « فاروق » وأنها مجرد ادعاءات منه لحفظ ماء وجهه .

ويقول « ماكبرايد » ان تلك الأحداث أثارت شائعات كثيرة

متطرفة ، حول حقيقة ماحـــدث بالفعل ، وقيل بعـدها ان « فاروق » قد سحب مسدسه من درج مكتبه ، عندما علم بأن « لامبسـون » فى طريقه اليه ، وقال : « لسوف أطلق عليـه النار حالما يظهر هنا فى مكتبى . »

الا أن أحدا لم يؤكد ادعاء « فاروق » هذا ، كما انه ادعاء من الصعب تصديقه لأن الشجاعة لم تكن من صفات « فاروق » قط .

ورددت الشائعات أيضا أن خطوط التليفونات فى القصر قد تم قطعها ، وأن راديو القصر توقف ، عندما حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين .

الا أنه ربما تكون من أهم التفاصيل التى أوردها « ماكبرايد» هو قوله ان « لامبسون » قد قام بكل تلك الاجراءات دون علم وزارة الخارجية البريطانية ، وأن « لامبسون » والقيـــادة البريطانية فى مصر قد فعلا ذلك تحت مسئوليتهما الخاصة .. وهى معلومة لا يمكن تصديقها بسهولة .

ويصف « ماكبرايد » « فاروق » بانه شـــخص قدر له أن يصبح واحـــدا من أردأ الشخصيات ذات السمعة الســيئة فى قرننا الحالى .. انه سليل « محمد على » الذى قتل المماليك وأسس مملكته .. وقد أدى موت والده « فؤاد » المفاجيء الى عدم اكماله لتعليمه .. وقـــد نمــــا « فاروق » فى عالم من النساء .. وجاء الى العرش صغيرا ورخوا بصورة لم تمكنه من مواجهة الشواذ القابعة فى بلاط متملق ذليل .

ويقول « ماكبرايد » كذلك ، ان الســـفير البريطــــانى « لامبسون » كان عندما يتحدث عن « فاروق » يصـــفه بـ « الطفل » وأنه كان يعامله على هذا الأساس .

ويضيف أن « لامبسون » و « النحاس » باشا عملا معا بتعاون



« النحاس » باشا مع السـفير البريطانى سير « مايلز لامبسون »
وتعاون وثيق فى العمل بينهما ..

وثيق ، وان « ونستون تشرشل » ، رئيس وزراء بريطانيا ، كان يعتبر « لامبسون » ملكا على مصر .

وعن « لامبسون » يقول « ماكبرايد » ، أنه كان يتميز بكونه لا يتمتع بأية شعبية مع المصريين والجيش البريطاني فى القاهرة ، أو مع الحكومة فى بريطانيا ، وأنه ربما كان ملائما لمصر ، لكنه لم يكن ملائما لـ « فاروق » البالغ من العمر اثنين وعشرين عاما ..

واخيرا يقول « ماكبرايد » : انه من الغريب حقا ان الحلفاء ظلوا ، بعد كل ماحدث ، ولفترة طويلة من الزمن ، ينظرون الى تغيير الحكومة المصرية وتولى « النحاس » باشا رئاستها ، بعين الريبة والشك ، وان اذاعة المانيا النازية ظلت لمدة أكثر من شهر تنظر الى تغيير الحكومة فى القاهرة كنكسة لبريطانيا .

وظل الاجراء الذى اتخذه « لامبسون » محل جدل طويل بعد ذلك ، اذ أن هذا الاجراء على الرغم من أنه كفل الحكومة التى أرادتها بريطانيا ، الا أنه أدى ، فى الوقت نفسه ، الى انخفاض أسهم الفريق الذى ولاه البريطانيون السلطة فى البلاد الى الحضيض ، وكان ذلك الاجراء بمثابة الدافع والحافز المبكر لتلك القوة التى ثارت لتخلص مصر وشعبها من الملك والبريطانيين بضربة واحدة ..

***

وكتاب « الملف السرى للملك فاروق » ، يبدأ مع الأمير الصغير « فاروق » عام ١٩٣٥ ، عندما بعث به والده « فؤاد » الى لندن بصحبة « أحمد محمد حسنين » ، أحد رجال البلاط الملكي المخلصين ، كى يتلقى علومه ويجرى تهيئته لاعتلاء عرش مصر ، خلفا لوالده .. وكان « فاروق » فى ذلك الوقت فى السادسة عشرة من عمره ..

احمد فوزى

الجـــزء الأول

مات الملك يحيا الملك

من بين كافة ملوك القرن الحالى ، يعتبر ((فاروق)) فريدا فى نوعه ، فبرغم انه كان حاكما شرقيا ، الا انه كان شابا مستهترا يحب حياة الغرب .. اسمه يعنى : الشخص الذى يفرق بين الصواب والخطأ ، لكنه كان نهما شرها وفاسقا ومبتذلا ولصا .

لم يكن فى مقدور أحد أن يقول ان الحصان وراكبه كانا يتصرفان بصورة طبيعية ، اذ كان الانسجام معدوما بينهما تماما ، بينما كان الحصان يثب براكبه ببطء فى « ريشموند بارك » ـ حلبة لركوب الخيل فى لندن ـ فى ذلك اليوم الرطب الحار الملبد بالغيوم من أيام شهر ابريل سنة ١٩٣٥ .

لم يكن الخطأ يكمن فى الفرس الذى كان يتحرك بشرود وهو معصوب العينين ، بينما كان يحمل ثقلا خامدا فوق ظهره ، بل كان الخطأ يكمن فى الصبى الذى وجه الى بطن الفرس ضربة عنيفة بقدمه ، قبل أن يقفز به ، وكان طبيعيا أن يصبح لذلك تأثير سىء على الفرس ، الذى قفز بعنف ، مما كان سيتسبب فى الالقاء بالصبى بقوة على الأرض ، لولا أنه تشبث بالفرس بعنف وقد اعترته حالة من الاضطراب والهلع والغضب الشديد.

وعلى ظهر فرس آخر بجواره ، كان مدربه سير « لويس كريج » ، يقدم نصائحه وارشاداته للصبى ، على الرغم من أن نصائحه وارشاداته كانت تذهب أدراج الرياح ، وكانت بلا طائل تماما .. ونظرا لاستغراقهما فى التدريب ، لم يلاحظ أى من الصبى ومدربه عربة تجرها خيول وهى تقترب منهما ، وقد علق فى مقدمتها علم مصر الأخضر ، بهلاله ونجومه الخماسية الثلاث .

وتوقفت العربة بجوار مضمار سباق الخيل ، وهبط منها رجل يرتدى معطفا أسود اللون ، وطربوشا أحمر ، وتوجه ببطء وتردد نحو الصبى ومدربه ، اللذين أسرعا بكبح جماح فرسيهما عندما شاهداه يتقدم نحوهما ..

لقد توفى والدى

واقترب الرجل من الصبى وانحنى ثم قال بعد لحظة صمت :
« مولاى ، اننى أحمل لك أنباء سيئة » .

فبادره الصبى قائلا على الفور :

ـ « لقد توفى والدى . »

ـ « آسف ، لقد توفى جلالة الملك « فؤاد » فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر اليوم ، وكان اسمك آخر كلمة نطق بها .. جلالة الملكة « نازلى » تريد منك أن تتصل بها تليفونيا ، وهناك رسالة لك من رئيس الوزراء » .

وكانوا قد علموا ، فى لندن ، منذ عدة أسابيع ان والد الصبى الملك « فؤاد » الأول ، ملك مصر ، يعانى من مرض خطير ، وهو راقد فى قصره باحدى ضواحى القاهرة ، وقبل وصول الخبر السىء بأربعة أيام ، كانت قد وصلت الى العاصمة البريطانية أنباء من القاهرة ، تفيد بأن الأطباء الذين يشرفون على علاج الملك المريض ، لايرون اية آمال فى شفائه .

وكان ماحدث فى القاهرة يعنى بالنسبة للصبى « فاروق » انه أصبح حاكم اقدم مملكة فى تاريخ العالم ، كما كان يعنى ايضا انه للمرة الثانية منذ « توت عنخ آمون » ، يجلس صبى على عرش مصر العليا ومصر السفلى ، ويسيطر على مقاطعات النوبة والسودان وكردفان ودارفور .

واخذ الرجلان يراقبان الصبى ، ويلاحظان ردود فعل الخبر عليه ، وينتظران رده ..

كان الرجل الذى ابلغه الخبر المؤسف هو « أحمد محمد حسنين » باشا مدرسه الخاص ،والمستكشف والرحالةالمشهور الذى عمل فى خدمة الوالد والابن .. أما سير « لويس جريج »،

نائب مدير « ريشموند بارك » ، فقد عمل يوما ما مدرسا ومليربا ومرافقا لدوق « يورك » ، وللملك « جورج السادس » بعد ذلك .

ولم يبد أى تأثير للخبر على وجه « فاروق » ، الذى كان لايزال معتليا ظهر فرسه بلا أدنى مبالاة للنبأ الذى سمعه لتوه ... وبعد فترة صمت ، نظر « فاروق » اليهما ، ثم قال :

« سوف أؤدى عدة قفزات أخرى بالفرس ، ثم أعود معكما »

ولم يدل « حسنين » بأى تعليق وظل صامتا ، لكن سير « لويس جريج » تقدم بثبات ، وأمسك بلجام فرس « فاروق » وجذبه بعنف ، وقال :

« سيدى ، لن تفعل شيئا من هذا ، وعليك أن تهبط فورا من فوق الفرس » .

فعبس وجه « فاروق » واهتز جسمه بكامله غضبا ، ثم ترجل .. فتمتم سير « لويس » وهو واقف بجوار « حسنين » باشا قائلا :

« لا يمكننا ان ندع ملكين لمصر يموتان فى يوم واحد . »

فقد سبق له أن شاهد « فاروق » كثيرا وهو يسقط من فوق ظهر الفرس ، ولم يكن يثق بمهاراته وقدراته على ركوب الخيل .

ورد « حسنين » قائلا :

« انه لم يكن يقصد ذلك » .

سلوك شاذ

ولم تكن تلك هى المرة الأولى ولا الأخيرة التى أصبح فيها على « حسنين » ان يجد عذرا أو تبريرا لسلوك « فاروق » الشاذ

اذ حدث ذلك بعد أن سأله بعض الأصدقاء عما اذا كان الأمير الصغير قد استقبل حقا نبأ وفاة والده بلا أدنى مبالاة ، فما كان منه الا أن رد عليهم بدبلوماسية قائلا :

« يالها من نكتة سخيفة ، انه لا يزال فى السادسة عشرة من عمره فقط .. انه لايعنى ذلك حقا » .

لكنه ، مع ذلك ، أعترف لأصدقائه ومعاونيه القريبين منه بدهشته من موقف « فاروق » يوم أن أبلغه بخبر وفاة والده ، وهو موقف أثبت ماكان يشك فيه دائما من أن الصبى لم يكن يحب والده ، بل انه كان فى الواقع يخافه ويهابه ويخشاه فقط .

مجلس الوصاية

وظل « فاروق » ملكا لمدة عشرة أيام فقط ، قبل أن يحول مجلس الوزراء سلطاته الى مجلس وصاية ، حتى يبلغ سن الرشد فى الثامنة عشرة من عمره ، والذى كان سيبلغه فى ٢٩ من يوليو سنة ١٩٣٧ .

ولم تكن طفولته الغريبة والشاذة قد أعدته لتولى المسئوليات الكاملة للملكية . اذ كان قد أمضى طوال تلك الفترة خلف جدران قصر عابدين الذى كان بمثابة القصر الرئيسى للملك « فؤاد » ، من بين مقار ملكية كثيرة ، كان « فؤاد » يحتفظ بها فى أماكن متعددة من البلاد .

والى أن تولى سلطاته الملكية كاملة ، لم يكن « فاروق » قد شاهد أى شىء من معالم مصر الرئيسية ، حتى الأهرامات وأبى الهول .. وكان نظام الحكم الذى خلفه والده بعد وفاته يعانى كثيرا من التناقضات ،ومن الفساد والانغماس فى الملذات تاركا الشعب يعانى من أهوال الفقر والأمية ..

وكانت للصبى حجرات ممتلئة باللعب والآلات ، كما كانت له بحيرة خاصة لركوب الزوارق ، وحوض للسباحة . لكنه وهو مازال فى الخامسة من عمره ، كان عليه أن يستيقظ فى السادسة من صباح كل يوم ليتلقى دروسا فى المبارزة بالسيف ، وركوب الخيل ، ودروسا فى الانجليزية والفرنسية والعربية : ولم تكن هذه الدروس تنتهى الا فى السادسة مساء .

شخصية شاذة ومتقلبة

لكن الحرمان الأعظم ، الذى كان يقاسى منه كثيرا ، هو انه لم يكن الى جواره أطفال فى مثل سنه كى يلعبوا معه ، ولم يكن من المثير للدهشة والاستغراب أن تبرز فى ظل هذه التربية والنشأة ، شخصية شاذة ومتقلبة .

وكان فى طفولته يحرص كل الحرص على ارضاء مربيته الانجليزية ، مسز « اينا نايلر » ، بصورة تثير الشفقة .. وكانت هذه المربية كثيرا ماتعثر على ورقة مثبتة فى وسادتها وقد كتب عليها :

« آسف ، لانني كذبت عليك اليوم يانايلر » . أو « سأحاول أن أكون أحسن غدا . » ..

الا انه كان يضايق معلميه الخاصين ويفرض عليهم رغباته بصورة مفرطة ، لعلمه أنهم كانوا يخافونه لأنه كان من القدر له أن يصبح ملكا .

وقد كان « فاروق » فى صباه شخصية متناقضة تماما .. فالصبى الذى صاح وبكى يوما ، عندما انقض صقر على احدى ارانبه المدللة وقتله ، أمسك يوما آخر قطا من ذيله ، وأخذ يخبطه بعنف فى الحائط الى أن برز مخه من رأسه .

وكان تقدمه الأكاديمي متواضعا ، على الرغم من تقــارير معلميه الخــاصين الممتازة عنه . وكانت جامعة « ايتون » قد رفضت التحاقه بها ، مما أثار دهشة والده .

الا أن الملك « فؤاد » ، مع ذلك ، صمم على أن ابنه لابد وأن يذهب الى انجلترا ، لاعداده للالتحاق بالأكاديمية الحــربية الملكية ــ وولويتش . غير أن ادارة هذه الاكاديمية لم تقبله قط كطالب أساسي فيها ، لكنها سمحت له بزيارة الأكاديمية كعون له فى دراساته . ومالبثت وفاة والده أن قطعت دراســته الحربية ..

سيد نفسه

وعند عودته الى القاهرة ، رفض مجلس الوصاية أن يمنحه كامل سلطاته الملكية على الفور ، لكن « فاروق » وجد فى ذلك الوقت أن ابواب القصر قد أصبحت مفتوحة أمامه على الأقل ، وأنه أصبح أخيرا سيد نفسه ..

وكان يتمتع بسلطة ضــخمة وثروة كبيرة .. وكان يملك خمسة قصور ، ومساحات شاسعة من أجود اراضى مصــر وأكثرها خصوبة ، كانت تقــدر بعشر كل الأراضى المصــرية المزروعة ..

كما كان والده الملك « فؤاد » يستثمر أكثر من خمسة عشر مليون جنيه فى بنوك أوروبا ، وضعفها فى بنوك مصر ، وقد آلت كل هذه الثروة الى « فاروق » ، بالاضــافة الى يختين بحريين ، وعدة فيللات واستراحات ملكية تنتشر من ساحل البحر المتوسط شمالا الى السودان جنوبا ، وأكثر من مائة سيارة كانت تضم عشر ســيارات رولزرويس ، وسرب من الطائرات الملكية ، كانت توجد جميعها تحت تصرفه الخاص .

وقد شعر « فاروق » ، أخيرا ، أن أبواب الحرية قـــد فتحت له على مصراعيها ، وانه أصبح في مقدوره ، في أية ساعة ، الانطلاق باحدى سياراته عبر طريق القــاهرة ــ الاسكندرية ، أو الانطلاق الى الاسماعيلية على امتداد قنـــاة السويس. وكان المصريون يفرون بحياتهم عندماكانوا يشاهدون سيارة ملكية تنطلق بجنون في أحد الشوارع ..

وقد أمر « فاروق » بدهان جميع سيارته باللون الاحمر حتى يتعرف عليها رجال البوليس بسهولة ، ولا يسعون الى ايقافه، وحرم على أى فرد آخر استخدام هذا اللون « الملكى » في دهان سيارته .

لماذا يتعقبون سيارته ؟!

وقد القى القبض على احد رؤساء تحرير الصــحف المصرية لأنه نشر خبرا يقول ان سيارة اسعاف كانت تتعقب ســـيارة « فاروق » بصورة دائمة ، لنقل ضحاياه من أفراد الشعب الذين كان كثيرا مايصدمهم اثناء انطلاقاته الجنونية باحدى سياراته .

وكان رجال البلاط يجلسون دائما في قلق دائم ، في انتظار أى حادث تصادم محتمل ، وكثيرا ماحدث ماكانوا يتوقعونه ، ومن ذلك ان « فاروق » اصطدم يوما وهو منطلق باحـــدى سياراته الرياضية بشجرة خارج القاهرة ، ومع أن « فاروق » ومرافقه « عمر فتحى » قد أصيبا برضوض خفيفة ، فقــد تهشمت السيارة تماما ، ولم تعد قابلة للاصلاح .

وكان المصريون يسخرون من بهرجته ، اذ انتشرت المدارس والمستشفيات التى تحمل اسمه في جميع انحاء البلاد ..

هوس الاقتناء والسرقة

لكن أولئك القريبين منه لاحظوا أن الجشع بدأ ينمو ويزداد في داخله ، وأن عشقه ، لحد الهوس ، لجمع الاشـــياء المتنوعة ، أصبح يستبد به بصورة خطيرة ، الى درجة أنهم كانوا يخشون أن يكون قد أصيب بهوس السرقة ، مما دفعهم الى اخفاء ممتلكاتهم عنه .

وكان « فاروق » يستولى على أى شيء يثير اعجابه ، ولا يهم اذا كان ذلك الشيء شائعا أم هو نادر الوجود ..أو كان ذا قيمة أم لا .. اذ كان أحيانا مايعجبه شيء بالغ التفـاهة ، لـــكنه يصر على اقتنائه .

ومن الواضح أن « فاروق » كان فى حاجة ماســـة فى تلك الفترة الى توجيه سليم ، والى يد حازمة ، أو هكذا بدا لسير « مايلز لامبسون » ، المندوب السامى البريطانى فى مصر ، الذى انتهز فرصة وجوده فى لندن ، فى ذلك الوقت ، للتحدث بشأن « فاروق » مع رئيس جامعة « ايتون » .

وقال له :

« لابد لنا أن نعمل شيئا ما بالنسبة لـ « فاروق » الصغير . إنه يستلقى على فراشه طوال فترة الصباح ، ثم ينطلـق فى عربدة مستمرة طوال بقية اليوم .. انه فى حاجة الى أحـــد الأساتذة العاملين معك كى يبين له الطريق القويم ، على أن تختاره أنت بنفسك » .

فأوصى رئيس جامعة «ايتون» ب «ادوارد فورد» الذى أصبح بعد ذلك سير « ادوارد فورد » السكرتير الخـــاص للملك « جورج السادس » والملكة « اليزابيث » والذى طـــار الى القاهرة لتولى هذه المهمة الشاقة فى شهر اغسطس ســـنة ١٩٣٧ .

التهرب من التعليم

واقترح « فورد » برنامج تعليم عام ، الا أن « فاروق » كانت لديه أفكار وحيل كثيرة للتهرب .. فعندما كانا يجلسان لبدء اي درس ، كان « فاروق » يعمد الى الضغط على زر جرس خفي في أسفل مكتبه ، ليظهر خادم ، بعد قليل ، حاملا طبقا كبيرا عليه كوبان مملوءان بشراب حلو . وعندما كانا ينتهيان من تناول هذا الشراب ، كان « فاروق » يبادر معلمه قائلا :

« هل تود مشاهدة مجموعتي من الأسلحة النارية ؟ »

وقبل أن يجيب « فورد » ، كان « فاروق » يضغط على زر الجرس ، ليحضر خادم آخر حاملا صينية عليها مجموعة من المسدسات مختلفة الأنواع .

أو يبادره قائلا :

●● « هل لنا أن ننطلق للقيام بجولة بالسيارة في أنحاء المدينة ؟ » .

أو ؟

●● « هل لنا أن نسبح قليلا ؟ »

أكاذيب وحكايات خيالية

واخيرا ، أدرك المعلم القادم من لندن أن « فاروق » لا يحب شيئا سوى التحدث بأي كلام فارغ . اذ لم يكن لـ « فاروق » اي ماض يتحدث عنه ، لذلك فقد كان يخترع حكايات خيالية وكاذبة .

وفي أحد الأيام ، لاحظ « ادوارد فورد » وجود عدد من الميداليات الفضية على منضدة في القصر ، فسأل « فورد » « فاروق » عنها ، فما كان من الأخير الا أن قال على الفور :

« انها عدة ميداليات فزت بها في الرياضة عندما كنت صغيرا » .

وكان ذلك الكلام صادرا من صبى فى السادسة عشرة من عمره ، لم يحدث أن وضع قدمه يوما ، خارج القصر .

فالتقط المعلم الميداليات ، واحدة واحدة ، فلاحظ وجود رقعة صغيرة بثمن كل منها ،مثبتة على كل ميدالية ..واسقط فى يد « فاروق » ، وكان عليه ان يعترف بالحقيقة ..وهى أن أحد الجواهرجية قد بعث بتلك الميداليات حتى يختار واحدة منها كى يقدمها لنادى اليخت بالاسكندرية فى حفله السنوى .

ثم قال « فاروق » وهو يضحك :

« كم أود أن أراك هناك .. »

هذه الفتاة .. من تكون ؟

ولمساعدة « فاروق » على الالتقاء بأصدقاء من مستواه ومركزه كانت والدته الملكة « نازلى » ، و « حسنين » ياور البلاط ، يقيمان حفلات فى القصور الملكية فى كل من القاهرة والاسكندرية ..

وفى احدى تلك الحفلات ، اقترب « فاروق » من مدام « ذو الفقار » ، صديقة والدته ووصيفتها ، وقال لها وهو يشير الى فتاة قريبة منهما :

« هذه الفتاة التى ترتدى فستانا أزرق ، الواقفة هناك ، من تكون ؟ »

ـ « الا تعرفها ؟ »

فهز « فاروق » راسه بالنفى ، فضحكت مدام « ذو الفقار » ثم عادت تسأله مرة اخرى :

« الا تعرفها حقا ؟ .. انها ابنتي صافيناز »

فنظر « فاروق » الى الفتـاة نظرة سريعة ، ثم ابتعد .. ونسيت مدام « ذو الفقار » مادار بينها وبين « فاروق » ، ولم تفكر فيه مرة أخرى ، فقـد كانت « صافيناز » لا تزال في الخامسة عشرة من عمرها ، وكان « فاروق » يكبرها بثمـانية عشر شهرا ، ولابد أنه سبق له أن شـاهدها عدة مرات مـع شقيقاته ، لكنه لم يكن يتذكر أين شاهدها من قبل .

لكن بدا أن « فاروق » كان في ذلك الوقت يفكر في الزواج ، وقد عرض عدد من أفضل وأرقى الأسر في مصر بناتها ، كي يختار « فاروق » من بينهن عروسا له . غير أن « حسنين » كان لا يشجع ذلك ، اذ كان يعتقد أن « فاروق » لن يتزوج الا بعـد عدة سنوات ، لكن « حسنين » فاته أن يدخل في اعتبـاره عواطف الملك ..

السعي للزواج

ففي ربيع سنة ١٩٣٧ ، عندما بلغ السابعة عشرة من عمره ، أحب « فاروق » فتاة كان قد شاهدها عدة مرات مع شقيقاته ولكن في كل مرة كان يحاول الاقتراب منها كانت تتجنبـه وتتملص منه ، وقد زاد تصرفها هذا من حماسة « فاروق » وعواطفه نحوها ، الى أن أدرك أنه قد أحب تلك الفتاة حبـا عميقا .

وهنا ماكان عليه الا أن يتوجه اليها ، ويعرض الأمر عليهـا .. وهل يعقل أن ترفض فتاة أن تصبح ملكة مصر ؟! ..

فتاة ترفضه

صحب « فاروق » ياوره معه ، وانطلق بسيارته الى منزل

الفتاة في الجيزة ، وطرق الباب ، فانفتحت نافـــذة من أعلى الباب ، اطلت منها الفتاة ، التي سألته على الفور :

« ماذا تريد ؟ »

ـ « افتحى الباب » ..

لكن الفتاة ظلت ساكنة ولم تفتح البـــاب ، وقـالت له بهدوء :

« ان والدى ووالدتى فى الخارج ، ولا يمكننى استقبالك الا فى حضورهما ، وباذن منهما » .

ثم اغلقت النافذة العلوية فى وجه « فاروق » وياوره ..

فقفـز « فاروق » الى سيارته ، وانطلق بهــــا فى حالة هستيرية عائدا الى قصر عابدين .. وبعد أن صعد « فاروق » الى غرفته وهـدأ قليلا ، التفت الى ياوره الذى كان واقفـا أمامه ، ولم يكن يدرى ماذا يفعل ، وقال له :

« انها لم تغلق النافذة فى وجهى ، لقد أغلقتها فى وجـــه سعادتها .. كنت أرغب فى أن تصبح هذه الفتاة ملـكة على مصر ، لكنها خسرت فرصتها » .

لقد هز هذا الرفض غروره هزا عنيفا .. كيف ترفضه فتاة وهو الملك الذى تتمناه كل فتاة وتحلم به ، وتسعى الى الزواج منه بنات ارقى العائلات ..

لقد وجهت هـذه الفتاة اليه ضربة عنيفة لم يكن يتوقعها ، فحبس نفسه في حجرته ، وقد شمله الخزى والخجل والغضب بسبب تلك الاهانة .

ولم ينس « فاروق » ماحدث له قط . وعندما كان يتذكر ذلك ، كان يضحك ويتندر على هذه الفتاة التى رفضته لكى تتزوج من استاذ جامعى مغمور فى القاهرة ، وتعيش كربة بيت عادية فى احدى ضواحى العاصمة .



هكذا كان يعامل « فاروق » فى كل مكان يذهب اليه .. وكان خدمه الايطاليون يشجعونه على التمادى فى تصرفاته .. وعلى محاولة فرض رايه على كل من حوله وكانت نصائحهم هدامة ...

وعلى الرغم من أنه ضحك وتندر كثيرا ، الا أن رفض تلك الفتاة ونبذها له ، ترك أثرا عميقا فى نفسه ، لم ينجح الزمن فى محوه بسهولة .

ذات الرداء الأزرق

لكن مالبث أن لفتت نظره واهتمامه فتاة أخرى .. الفتاة ذات الرداء الأزرق ، التى سبق أن شاهدها فى احدى الحفلات ... « صافيناز » ابنة « يوسف ذو الفقار » ، نائب رئيس محكمة الاستئناف فى الاسكندرية ومدام « ذو الفقار » ، وصيفة أمه .

وكان « فاروق » ووالدته « نازلى » ، على أهبة الاستعداد للقيام برحلة الى أوروبا .. وفى الساعة الثانية من بعد منتصف أحد الأيام ، وقبل أن يبحر بهما اليخت الملكى بثلاثة أيام ، كان « فاروق » ووالدته يبحثان قائمة الضيوف الذين كانوا سيصحبونهما فى الرحلة ..

وقال « فاروق » فجأة :

« يجب أن نأخذ « صافيناز » معنا » .

كانت والدته تعرف أن ابنها لم يكن قد تحدث مع الفتاة قط ، كما أنه لم يذكر اسمها امامها قبل كذلك ، فسألته :

« أهو حب من أول نظرة ؟ »

فهز « فاروق » راسه ، وقال :

« اننى أريدها أن تكون معنا فقط »

ثم التقط « فاروق » التليفون ، وطلب رقمها فى الاسكندرية وسلم سماعة التليفون لوالدته لتقوم هى بدعوة « صافيناز » .

وردت والدة الفتاة بهدوء ، وكان النوم لا يزال يداعب

عينيها :

ــ « ماذا في الأمر ؟ »

فأجابتها الملكة « نازلى » :

● « لا شيء ، اننا فقط نود ان نصــحب « صافيناز » معنا في رحلتنا الى أوروبا » .

ــ «هذا مستحيل، اذ أن «صافيناز» تستعد الآن لامتحاناتها ولابد لها من الذهاب الى المدرسة » .

فاصرت « نازلى » على طلبها ، وقالت بحزم :

● « لابد ان تأتى ، لقد قالت الأميرات انها يجب أن تحضر معنا . »

ــ «لكن ، لاتوجد لديها ملابس مناسبة لمثل هذه الرحلة » .

● « يمكنها شراء ماتريده من ملابس في أوروبا . »

فقالت والدة الفتاة :

ــ «لكن لن يمكنها الحصول على جواز سفر في ثلاثة أيام » .

● « ان هذا سوف يستغرق ثلاث دقائق لاغير » .

ــ « على اذن أن أستشير والدها في ذلك »

● « في امكانك أن تقولى له ان هذا أمر ملكى »

أمر ملكى .. بماذا ؟

وأيقظت مدام « ذو الفقار » زوجها ، وكــــررت أمامه نص مادار بينها وبين الملكة « نازلى » ، وانصت القاضي الى ان انتهت زوجته ، ثم قال : « لا » . أن ابنته لن يمكنها الذهاب .

وما هي الا عدة دقائق ، وعاد جرس التليفون يدق مرة اخرى

كانت الساعة تشير في تلك اللحظة الى الثالثة صباحا .. وسألت الملكة أم « صافيناز » :

ـ « ماذا قررتما ؟ »

● « يقول زوجي ان « صافيناز » يجب ألا تذهب الا عندما تنتهي من دراساتها » .

فقالت « نازلي » :

« في امكانك أن تخبريه بأن هذا أمر ملكي . »

فأيقظ الأب والأم ابنتهما « صافيناز » ، التي دهشت كثيرا من هذا الطلب الملح ، لكنها ابدت رغبتها في الذهاب مع الأميرات ، ولم تكن تعرف أن « فاروق » هو الذي أصر على انها لابد أن تنضم الى المجموعة الملكية .. وذهبت وهي مؤمنة بصدق رواية الملكة الأم من انها سوف تكون كمرافقة للأميرات .

وابحرت المجموعة الملكية التي ضمت اثنين وثلاثين شخصا على ظهر الباخرة « فايسروى أوف انديا » وقد حملوا معهم ٢٥٠ حقيبة .. وامضوا الجزء الأول من الرحلة في « سانت موريتز » ، حيث أمكن لـ « فاروق » مشاهدة شقيقاته و « صافيناز » وهن يتزحلقن فوق البحيرة الجليدية المجاورة للفندق .

وفي احد الأيام تعثرت « صافيناز » وسقطت ، والتوى رسغ قدمها ، فحملوها وهي تصرخ من شدة الألم .. فاندفع « فاروق » كالسهم فوق الجليد ، وصاح في شقيقاته قائلا لهن بغضب ان الله قد عاقبهن لأنهن يتزحلقن باستهتار زائد .. ثم قال لهن :

« ولسوف اصدر اوامري بالا تتزحلق معكن بعد الآن »

فاحتجت الفتيات عليه ، لكنه لم يلتفت لهن ، وتوجه الى والدته واصدر اوامره لها للتنفيذ .

فقالت له « نازلى » :

« لكن هذا لايخصك ، لا من قريب ولا من بعيد »

فرد عليها « فاروق » بتجهم :

« بل ان هذا يخصنى حقا ، ذلك لأننى لا اريد لها أن تسقط وتموت » .

ـ « هل هذا لأنك تحبها ؟ »

لكن « فاروق » لم يرد على سؤال والدته ، واحمر وجهه ، ثم استدار وابتعد عنها .

***

الجزء الثانى

فاروق ملكا

كان شـــخصا شاذا فى كل تصرفاته .. لم يجـــد من بين مستشاريه الكثيرين واحدا يمكنه ان يثق به ويأتمنه على اسراره، فركن لخدمه الايطاليين ، الذين كانوا وراء انحرافه وتحـوله الى فاســـق لا يهمه شيء الا نزواته ومتعه .



وانتهت مدة الوصاية فى ٢٩ من يوليو سنة ١٩٣٧ ، وركب « فاروق » عربة مطلية بالذهب تجرها ستة خيــول رمادية ، انطلقت به عبر شوارع القاهرة ، احتفالا بتتويجه .

وفى مجلس النواب ، صعد الملك المنصة حيث يوجد كرسى العرش ، وقد غطى بكساء من المخمل الأحمر ، وأمســك « فاروق » صولجانا بيده اليسرى ، ووضع يده اليمنى على مصحف ..

وسمعه أعضاء مجلسى النواب والشيوخ وهو يقول بصــوت مرنم واضح :

« أقسم بالله أننى سوف أحترم الدستور وقوانين الدولة المصرية ، وسوف أحافظ على استقلال الوطن وأحمى أراضيه »

وانفجرت موجة من التصفيق . وفى المقصورة الملكية ، كانت والدته « نازلى » وشقيقاته يبتسمن له ، بينما كان « فاروق » ينظر تجاههن بعصبية واضحة ..

وواصل « فاروق » خطابه :

« ان الملك هو الخادم الاول للبلاد .. وانني لاعتقد أن عظمة اي ملك يمكن أن تأتي فقط من عظمة شعبه . ويجب على الملك أن تكون لديه ثقة تامة بهذا ، ويكون مستعدا للتضحية من اجل هذا .

« ان الفقراء ليسوا مسئولين عن فقرهم ، لكنهم الأغنياء ، على الأصح .. اعطوا للفقراء ما يستحقونه دون طلب أو التماس منهم .

« ان اي ملك يصبح ملكا صالحا عندما يصبح للفقراء الحق في ان يعيشوا ، وعندما يصبح للمريض الحق في أن يتم علاجه وعندما يصبح للانسان العادي الحق في أن يكون آمنا ، وعندما يصبح للأمي الحق في أن يتعلم »

***

واخيرا ، اصبح الملك « فاروق » متحررا من الأوصياء عليه ومن معلميه ، وتركزت افكاره تماما على الزواج ..

فتاة احبها ..

وفي احد ايام شهر اغسطس سنة ١٩٣٧ ، أجرى «فاروق» اتصالا مفاجئا بـ « صافيناز ذو الفقار » وقال لها :

« هناك فتاة أحبها ، وأريد الزواج منها ، فكيف يمكنني التقرب اليها ؟ »

ولم تكن الفتاة ، التي لا تزال في السادسة عشرة من عمرها في ذلك الوقت ، تدري كيف تتصرف أمام هذا السؤال الأبله ، فتحدثت مع والدها ، الذي أدرك مضمون كلامها .

وقال القاضي لابنته :

« نصيحتي لك الا تتزوجينه ، وهنـــاك ملايين المبررات لنصيحتي هذه .. وانت حرة فى ان تفعلى ماتريدينه ، ولكن ارى من واجبى ان انصحك بعدم الاقدام على ذلك » .

ـ « ولكن ماذا يكون الحال اذا كان يحبنى حقا ؟ »

ـ « انك لاتزالين صغيرة ، وهو لايزال صغيرا ، لذلك فاننى لا يمكننى الموافقة على هذا الزواج » .

وتحدث « فاروق » مرة أخرى مع « صافيناز » ، لكنها تفادت اعطاءه اجابة نهائية .

وفى يوم ٢١ من اغسطس ، استدعى « فاروق » ياوره « عمر فتحى » ، وقال له :

« اننا ذاهبان الى الاسكندرية »

اهم اجتماع فى حياته

وانطلق « فاروق » بسيارته عبر الطريق الزراعى بين القاهرة والاسكندرية بسرعة جنونية .. وفى الطريق تحول الى ياوره ، وقال له :

« الن تسالنى عن سبب ذهابنا الى الاسكندرية ؟ »

ـ « اننى لا اتدخل فيما تفعله يامولاى . »

فقال له « فاروق » :

« اننا ذاهبان لعقد أهم اجتماع فى حياتى ».

وترك « فاروق » ياوره فى السيارة أمام منزل القاضى « ذو الفقار » ، وتقدم من باب المنزل وطرقه بنفسه ، وعندما فتح الباب ، أخبره أحد الخدم أن « صافيناز » فى الطابق الأعلى ، أما القاضى وزوجته فغير موجودين .. وفى تلك اللحظة ظهرت الفتاة واقفة أعلى السلم ، فتردد « فاروق » لحظة ، ثم تمالك نفسه ، وتقدم منها ، وناشدها بصوت خافت أن تتزوجه ، ثم قال لها بتلعثم :

« ليس لى أب ، ولا يوجد أحد يرعانى ، ولسوف تصبحين كل شىء بالنسبة لى » .

فقالت « صافيناز » بعد لحظة تفكير :

« لسوف يكون هذا شرفا عظيما لى يامولاى »

● « اذن ، انت موافقة ، وسوف تتزوجيننى . »

فردت عليه الفتاة بارتباك وقد احمر وجهها :

ـ « اننى موافقة ، لكن .. »

● « لكن ماذا ؟ »

ـ « لابد لى من أن أستشير والدى . »

ثم قالت له ان والدها قد أبحر فى ذلك اليوم الى لبنان لقضاء عطلة لمدة أسبوعين ، وأن والدتها تقوم بزيارة احدى صديقاتها فى الاسكندرية .



الملك « فاروق » وزوجته الاولى « فريدة » ، يقفان بين الملكة «نازلي» ووالدة الملكة « فريدة »
فى حفل زواجهما ..

فصاح « فاروق » غاضبا :

« لكنني لايمكنني الانتظار أسبوعين »

ثم اندفع « فاروق » الى سيارته ، وهمس بعدة تعليمات الى ياوره ، الذى انطلق بحثا عن السيدة « ذو الفقار » فى المدينة .

كما قام « فاروق » بنفسه باصدار أمر الى مدير بوليس الاسكندرية للبحث عنها .

زواج بالقوة

وفى بورسعيد ، كان القاضى « ذو الفقار » يودع عددا من الاصدقاء على ظهر السفينة التى كان سيسافر عليها الى بيروت ، عندما ظهرت فرقة من رجال البوليس بملابسهم النظامية على سطح السفينة .. ودار حديث قصير بين قائد فرقة البوليس ، وقبطان السفينة البريطانى ، ثم تقدم الضابط من القاضى « ذو الفقار » ، وواجهه بأمر احتجازه ، بلا اية مبررات او تفسيرات ، او أى اهتمام باحتجاجاته ، ثم قام قائد فرقة البوليس بدفع القاضى المشهور المحترم أمامه بالقوة ، كما لو كان مجرما خطيرا ، بينما تجمع المسافرون والمودعون لمشاهدة ذلك الحادث الغريب .

وفى نفس ذلك الوقت ، كان ياور الملك قد نزع زوجة القاضى من بين صديقاتها ، وصحبها الى منزلها وهى تتساءل بدهشة : « لماذا يعتقلنى « عمر فتحى » ؟! »

وعندما علمت بتفاصيل عرض الملك ، قبلت الأم ابنتها « صافيناز » ، ووافقت على الفور ..

وفى وقت متأخر من تلك الليلة ، تم احضـــــار القاضى « ذو الفقار » . الذى كان لايزال يشكو من أنهم قد عاملوه مثل لص .

وأمام الملك « فاروق » ، أعلن القاضى موافقته على زواج ابنته من الملك على مضض ، الا أنه اصر على وجوب الانتظـــار عدة اعوام .

لكن الملك اعلن دون الالتفات الى اصرار القاضى :

« لسوف نتزوج فى أواخر هذا العام » .

ولم يكن قد تم ابلاغ الملكة الأم حتى ذلك الوقت بأمــر تلك الخطبة السريعة ، كما أنها لم تعلم شيئا الا بعد عودة الملك الى القصر .

واعترضت الملكة الأم بعنف ، وكانت حجتها فى ذلك أن « فاروق » و « صافيناز » لايزالان صغيرين على الزواج .

وقالت « نازلى » لابنها :
« اننى أفضل الانتظار حتى تبلغ الثلاثين من عمـــرك ، ثم تتزوج . »

● « اذن ، انت لاتوافقين على هذا الزواج ؟ »

ـ « اننى لا ارفض ، ف « صافيناز » فتاة رائعة ، وافضل منك ألف مرة ، لكن أنتما الاثنان لستما مهيئين للزواج الآن .. قد تبدو ملكا فى نظر شعبك الآن ، لكنك بالنسبة لى لاتزال صبيا صغيرا » .

وتوقفت الملكة الام لحظة ، لترى مدى تأثير كلامها على ابنها الملك ، ولما لم تبد عليه اية ردود فعل فورية ، واصلت كلامها له :

« ان ميول صبى وعواطفه ـ وكذلك ميول فتاة صغيرة وعواطفها ـ تتغير مائة مرة قبل أن يصل الى مرحلة الرجولة وتصل هى الى مرحلة النضج الكامل . ولا تزال تنقصك التجربة والخبرة ، واننى لا ارغب ان تتزوج هذه الفتاة ثم تهجرها بعد ذلك بدون اى خطأ من جانبها »

لكن « فاروق » كان الملك ، وكانت كلمته هى القانون .. وحدد يوم ٢٠ من يناير سنة ١٩٣٨ موعداً للزفاف ، على ان تسمى « صافيناز » باسم « فريدة » .

ممن ياخذ نصائحه ؟

وكان « فاروق » ، الذى كثيرا ما ابدى امتعاضه من نصائح مستشاريه الرسميين ، يحب دائما اخذ النصائح من خدمه الايطاليين . وكان والده قد استخدم كثيرا من الايطاليين فى قصوره المتعددة ، وكان « فاروق » اثناء طفولته يهرب دائما من معلميه ، ويختفى فى اجنحة الخدم ..

ومن حلفائه اولئك ، كان « فاروق » يستقى الارشادات والنصائح حول كيفية معاملته لعروسه ، وكان مما قالوه له ان الضعفاء هم الذين يسمعون كلام زوجاتهم ويطيعونهن ، او يناقشون اية مسألة معهن ، وان الرجل القوى هو الذى يامر ، وعلى الزوجة ان تطيع .

واتبع « فاروق » هذه النصيحة . ولم يمض وقت طويل حتى كانت رغبته فى التحكم والسيطرة على « فريدة » قد ادت الى خلافات ومشاجرات عنيفة ، كما أن تصرفه هذا تسبب فى اثارة شكوك « فريدة » حول ما اذا كانت قد اتخذت القرار الصحيح .

وفى احدى الليالى ،وبينما كانا ينطلقان بسيارتهما فى أحد شوارع الاسكندرية ، لمعت عينا قطة فى ضوء المصابيح الأمامية للسيارة الملكية ، وكان على « فاروق » أن يبطىء من سرعة سيارته او أن يتفادى القطة ،لكنه بدلامن ذلك ،زاد من سرعته وسحق الحيوان المسكين تحت عجلات سيارته . عندئذ شعرت « فريدة » أنها كانت متزوجة من رجل قاس صلب الفؤاد .

وقد استمرت خلافاتهما ومشاجراتهما التى بلغت الذروة بشجار عنيف عشية الاحتفال بزواجهما .

وفى وصفها لأحداث ذلك اليوم قالت « فريدة » بعد ذلك لرئيس تحرير احدى الصحف المصرية انها أخبرت « فاروق» صراحةبأنها لن تصبح عبدة له قط .. وانها قالت له :

« ان الشعب يعجب بالرجل من أجل سلوكه وليس من اجل التاج الذى يلبسه . »

لكن « فاروق » لم يلتفت اليها ، وابتعد عنها تاركا اياها تبكى وتصيح .

وواصلت « فريدة » حديثها للصحفى : «وبقيت فى حجرتى أبكى بمفردى ، بينما الاحتفالات قائمة فى كل مكان فى الخارج وشعرت أن العالم كله كان يحسدنى لأننى سوف أصبح ملكة فى اليوم التالى .. ولم أدر يومها ماذا أفعل .

« واخيرا قررت ان أستدعيه وأخبره انني قررت الا أتزوجه لكنني كنت خائفة من انه قد ينتقم لنفسه من أسرتي . ولم انم طوال تلك الليلة . وظللت مستيقظة . وقد سيطر على شعور بأنني كنت في طريقي الى الجحيم من اجل أسرتي . وكنت قد قرات رواية « جان دارك » ، وكان لدى شعور بأنهـا قد مرت بنفس الليلة التي مررت بها ، قبل أن يحرقوها . وادركت أن الملكات لسن سعيدات . لكن الألم الذى كنت اقاسي منه ، كان أعنف مما يمكن لأى انسان أن يتحمله » .

لكن الوقت كان متأخرا للغاية ، وقد سبق السيف العزل ، وتمكنت الأسرة من اقناع « فريدة » بأنها يتعين عليها أن تستمر في مسألة الزواج . وانصاعت « فريدة » لأسرتها . وارتدت فستان عرس باريسي مصنوع من خيوط الفضة ، وله طـرف طوله أكثر من خمسة عشر قدما . وارتدى « فاروق » بدلة فيلدمارشال السوداء المذهبة . واصطفت الجماهير في الشوارع لتحية الملكة الجديدة . وتدفقت الهدايا على العروسين من جميع أنحاء العالم . فأهداهما « هتلر » سيارة مرسيدس رياضية ، وبعث الملك « جورج الخامس » بمضارب تنس واسكواش راكيت ومجموعة من عصا الجولف .. ويومها تساءل « فاروق » بتعجب : « لماذا عصا الجولف طالما انهم يعرفون انني لايمكنني ممارسة هذه اللعبة ؟ »

كما أرسلت العائلة الملكية البريطانية مجوهرات للملـــكة واعطاه سير « مايلز لامبسون » ، المندوب السامي البريطـاني بندقية رش بوردى .

واستمر الاحتفال بالزواج الملكي ثلاثة ايام .

الجزء الثالث

فاروق والمحور

لم يكن زواجه دافعا له لان يسلك سلوكا طيبا ، بل ما لبث ان اندمج فى حياة الفسق والعربدة ، وكثر تردده على الاندية الليلية بصحبة خدمه الايطاليين ، مما ادى الى صدام عنيف بينه وبين زوجته ، وبينه وبين حكومته التى وجدت انها عاجزة عن ضمان سلامته .

في مساء احد الأيام الأولى من شهر مارس سنة ١٩٣٩ سعى وزير الداخلية « محمود فهمي النقراشي » باشا لمقابلة رئيس الوزراء ، حيث سلمه تقريرا سريا من البوليس . فألقى رئيس الوزراء « محمد محمود » باشا نظرة سريعة على مضمون التقرير، ثم التقط سماعة التليفون، وطلب تحديد موعد فوري لمقابلة الملك « فاروق » . اذ كان التقرير يفيد أن « فاروق » كان يتردد كل ليلة على عدة نواد ليلية بصحبة خدمه الايطاليين ، واذا أصر الملك على ارتياد مثل هذه الأماكن فان وزير الداخلية لن يكون في امكانه ضمان سلامته . وكان على رئيس الوزراء ان يتصرف . ولم تكن تصرفات الملك وسلوك مرافقيه من الايطاليين تقلق حكومته فقط، ففي السفارة البريطانية ، كان سير «مايلز لامبسون » يبدى تذمره بشأن المدى الذى وصل اليه نفوذ هؤلاء الايطاليين ، وسياساتهم الخفية ، وروابطهم بإيطاليا الفاشستية .

الا ان « محمود محمود » لم يستسغ مسألة تحذير الملك من رفاقه الذين يثق بهم .

وعندما توجه بعد عدة ايام الى قصر عابدين حيث التقى بالملك ، بدأ حديثه بإثارة مسألة اخرى . اذ لم يكن بصفته رئيسا للحكومة ، لا يهتم كثيرا بالخطاب الذى كان الملك قد القاه احتفالا ببدء السنة الهجرية ، وكذلك كان الحال بالنسبة للشعب .

الا أن « محمد محمود » بادر الملك عند التقائه به بأن قال له:

— « لقد كان خطأ أن تلقى خطابا لم يكن قد تم عرضه على رئيس الوزراء .. ان الرجل الذى كتب لك ذلك الخطاب لا يستحق أن يكون كاتبا عموميا في السوق » .

وهنا صاح الملك « فاروق » بغرور :

● « لقد كتبته انا بنفسي . »

ـ « منذ متى يقوم الملك بمهمة كتابة خطبه »
فما كان من « فاروق » الا أن رد عليه قائلا :
● « لا يوجد في الخطاب أى شيء ضدك . لقد كان ضد علي ماهر » .
ولم يصدق « محمد محمود » هذا ، لأن الملك و « على ماهر » كانا وثيقي الصلة ببعضهما البعض جدا .
ـ « هل تعتقد أنه من الصائب بالنسبة للملك أن يختلف ويتشاجر مع حكومته ؟ »
فهز « فاروق » كتفيه باستخفاف .حسنا ، لسوف يعرض خطبه على « محمد محمود » ، قبل أن يلقيها ، في المستقبل ..
لكن ، هل كانت هذه هي المشكلة العاجلة التي دفعت برئيس الوزراء الى مقابلته .
ورد « محمد محمود » على هذا التساؤل قائلا :
ـ « لا ، هناك مشكلة أكثر خطورة . ان الحكومة ترغب في طرد « فيروتشي » من القصر . »
فسأله « فاروق » ، وقد بدا عليه الشك :
● « لماذا ؟ »
ـ « لأنه ذو سمعة سيئة ، وبصفتي رئيسا للوزراء ، لايمكنني الموافقة على أن يكون لرجال ذوى سمعة سيئة أية علاقة بالملك . »
فسأله « فاروق » :
● « ماذا تعني بالسمعة السيئة ؟ »
ـ « هناك حكايات كثيرة تروى عن تعامله مع النساء ، وعن قيامه بجلب نساء للرجال » .
● « هل من المعتقد أنه يجلب نساء لفرد ما في القصر ؟ »
ـ « انني لا أدرى شيئا عن هذه المسألة بصراحة » .
فقال « فاروق » :
● « حسنا ، انه لايجلبهن لي » .
فحذر «محمد محمود » الملك «فاروق» بأن الشعب بدا

يتحدث صراحة عن تصرفاته ، وأن هذا قد يدمر هيبته فى عين الجماهير .

وواصل « محمد محمود » حديثه قائلا :

ـ « وتوجد مسألة اخرى : يجب على الملك عدم زيارة الاندية الليلية . »

● « لكنني ملك ديمقراطى » .

ـ « ان الذهاب الى الأندية الليلية ليس من الديمقراطية فى شيء » .

فنظر اليه « فاروق » ثم قال يسأله :

● « الم تسأم يوما من منزلك ، وتريد تغييرا ما ؟ »

ـ « انني لا اجلس فى النوادي الليلية . كما ان الملكة لاتوافق على هذا بأية حال ، ان كل امرأة تحب أن يحفظ زوجهـــا كرامته » .

فسأله « فاروق » :

● « الى اين اذهب ؟.. ان كل فرد يذهب الى الاندية الليلية، فلماذا يحرم علىذلك ؟ ان دوق «وندسور» اعتاد زيارة النوادى الليلية » .

ـ « ربما يكون هذا احد الاسباب التى ارغمته على التنازل عن عرشه » .

ثم أكد « محمد محمود » أن حكومته لايمكنها تحمل مسئولية ضمان سلامته ، اذا مااستمر فى زياراته للنوادى الليلية .

فسأله « فاروق » :

● « هل يريد احد أن يقتلني ؟ »

ـ « لا ، لكن افترض أن احد السكارى تقدم منك وتهجم عليك أو ضربك ، ماذا يمكن للبوليس ان يفعله لمثل هذا الرجل؟ انه سوف يقول : « انني لم أكن أتصور انك الملك ، لانه ليس من الطبيعي أن يتردد الملوك على النوادى الليلية ، واذا ما كنت القاضي الذى ينظر قضية ذلك الرجل ، لأطلقت سبيله » .

● « شكرا لله لأنك لست القاضى . »

وقد اثارت سخرية « فاروق » هذه جوا من التوتر بين الرجلين وكان « محمد محمود » ، يتحدث الى « فاروق » بصراحة وبدون ادنى تمسك بالشكليات ، وقال :

ـ « ان هؤلاء الايطاليين سوف يسيئون اليك . ولسوف يتساءل الناس بدهشة واستغراب عن سبب عدم تمكنك من العثور على رفاق لك من بين المصريين ، ولسوف يعتبر الناس ان هؤلاء الافراد يجلبون النساء اليك » .

● « هل هذا هو ماتقوله الملكة ؟ »

ـ « اذا كانت الملكة تقول هذا ، فان الشعب لن يلبث أن يردده. واذا كنت قد حرصت على اختيار رفاق محترمين، لما كان أحد قد ذكر شيئا عنك . »

فأشعل « فاروق » سيجارة ، دون أن يقدم ، كعادته ، واحدة لـ «محمد محمود» وسحب نفسا عميقا ثم نفث الدخان بعصبية وقال :

● « لسوف أخبرك شيئا لم أخبره لأى أحد من قبل . لقد اسفت على زواجي فى اليوم التالي . وشعرت أنه لم يكن زواجا ناجحا ، وأننى قد فشلت فيه . »

وتمتم رئيس الوزراء بأن مثل ردود الأفعال هذه أمور طبيعية . وانها لابد أن تتلاشى وتزول عندما يستقر فى الحياة الزوجية .

وقال « فاروق » :

● « من سوء الحظ أن الخلافات بيننا تزداد يوما بعد يوم ، ماذا تفعل عندما تصبح ضجرا ومتبرما فى المنزل ؟ »

فأجاب « محمد محمود » أنه سعى لصحبة ومرافقة رجال مثل « سعد زغلول » ورفاقه ، ثم نصح الملك بأن يعقد نفس النوعية من الصداقات، وأن يكون له نفس النوع من الاصدقاء. فأنهى « فاروق » المقابلة بأن وعد بأنه سوف يطرد الخدم تدريجيا ، اذ أنه لو فعل هذا بسرعة ، لأدى ذلك الى دفع الشعب

للاعتقاد بأن الحكومة قد لوت ذراع الملك وأرغمته على التصرف هكذا .

وبعد عدة أسابيع ، اعلن القصر أن « ايرنستو فيروتشي » قد استقال من منصبه كمهندس معماري لدى القصور الملكية طبقا لرغبته . الا ان « كارو » و « بيترو » و « كافاتزي » ظلوا كما هم في القصر .

ومع أن « فاروق » — في رأي « محمد محمود » ، قد اتخذ موقفا عنيدا من نصيحة قدمت له من سياسي كان قد عمل من قبل في عهد والده والذي قبله كصديق ، الا أن مستشاري مجلس الوزراء لاحظوا تغيرا في عاداته . اذ زادت فترات اقامته بالقصر ، ولم يعد يخرج منه كثيرا ، وكف عن زياراته المفاجئة والعديدة للنوادي الليلية . كما انه صحب الملكة « فريدة » في نزهة استمرت يوما كاملا على ظهر اليخت « المحروسة » .

وعندما عادا الى القاهرة شكا من التعب ، واكتشف أطباؤه انه قد أصيب بالجدري . وعلى الرغم من التحذيرات التي صدرت للملكة من امكان اصابتها بالمرض نفسه ، فقد أشرفت « فريدة » على تمريضه ورعايته ، وظلت بجوار فراشه ، الى أن أصيبت بالمرض بعد يوم أو يومين .

وعندما شفي « فاروق » ، قال لـ « محمد محمود » : « أن المرء لا يقدر زوجته الا اذا أصبح مريضا » واصبح مثل الأيام الأولى من خطبته ، يأخذ « فريدة » معه الى عروض فرقة الأوبرا البريطانية في القاهرة ، والى بطولات التنس في نادي الجزيرة والى الحفلات التي تقام في قصور النبلاء في الجزيرة وجاردن سيتي والزمالك .

وفي احدى الليالي ذهب « فاروق » بصحبة الملكة الى « السراي الكبرى » ، وهي قطعة معمارية بالغة الروعة من « الارابيسك » والقرميد القرمزي ، تقع في حي القبة ، وقد افتتنت الملكة بالقصر وبأثاثه الذي كان مزيجا من الأثاث الفرنسي والتركي والايراني ، وسقوف حجراته المزينة بلوحات من القرون

الوسطى واعجبت به ايما اعجاب ، فقال لها « فاروق » :
« لسوف أقدمه هدية لك . »
وارغم « فاروق » ابن عمه الأمير « محمد طاهر » على عقد صفقة مضحكة يتم بموجبها التنازل عن ملكيته للقصر مقابل اربعين ألف جنيه . وقبل توقيع عقد البيع ، بعث « فاروق » بفريق من الخبراء لوضع تقرير عن المبنى. وعندما رحلوا ، لاحظ الأمير أن بعض الاواني والتحف الفضية التي يقدر ثمنها بألف وخمسمائة جنيه قد اختفت . ومن كان في مقدوره أن يتهم الملك او رجاله بانهم لصوص ؟ . ولم يقل الأمير شيئا .
واطلق الملك على القصر اسم « الطاهرة » ، وكتبه باسم « فريدة » .
فهل كان القصر هدية أم رشوة ؟
لقد أكد البعض أن « فاروق » قدم هذا القصر « لفريدة » كي تتغاضى عن علاقاته بخدمه الايطاليين . وكان عاجزا عن ادراك ان اى رشوة لن يكون لهــا ادنى اثر على سيدة تحترم نفسها مثل « فريدة » ، التى كانت لاتزال تلومه بسبب قضائه وقتا طويلا مع الايطاليين ، بعد أن وعد بأنه سوف يتخلص منهم .
وقد ازدادت العداوة بينها وبين خدمه الايطاليين حدة ومرارة وأدت الى تسميم العلاقات بينها وبين « فاروق » .
وقبل ذلك بوقت طويل ، كان « محمد محمود » يذكر الملك بتعهده بطرد الايطاليين ، ويعمل على تكييف الملك على اتباع سلوك آخر .
وفى أحد الأيام ، عندما كان رئيس الوزراء « محمد محمود » جالسا في مجلس النواب يستمع الى احدى المناقشات البرلمانية لاحظ شخصا يعبر قاعة الزوار ، في المجلس . فوكز « أحمد ماهر » باشا ، أحد وزرائه الذى كان يجلس بجواره ، واشار الى الشرفة التى كان يجلس فيها ذلك الرجل . ولم يصدق الرجلان أن ذلك الرجل كان هو « فاروق » نفسه .
وكان على رئيس الوزراء أن يلقى خطابا عن الحركة البرلمانية

وعندما انتهى من القائه ، اخبره سكرتيره أن الملك ينتظره فى حجرته ..

وكان « فاروق » يبتسم ابتسامة عريضة عندما دخل عليه رئيس وزرائه ، وبادره قائلا :

● « هل شاهدتنى أثناء المناقشة »

فأجابه « محمد محمود » :

« نعم ، لقد شاهدتك . لم يكن لك ادنى حق فى الحضور الى هنا » .

ــ « لماذا ؟ .. ان الملك له بالتأكيد نفس الحقوق التى لدى اى فرد آخر »

فهرش « محمد محمود » راسه وقال : « يمكنك حضور البرلمان اثناء حفل الافتتاح فقط ، وأن تستمع الى الأحاديث من فوق العرش . لقد كان ذلك أمرا خطيرا ، كما أنك حضرت مرتديا ملابس غير رسمية » .

فأجابه « فاروق » :

● « كنت متخفيا . ولم يكن فى مقدور أحد التعرف على »

ــ « بل ان الأعضاء سوف يتعرفون عليك . وسوف يشاهدونك ويعتقدون أنك مهتم بأحاديث معينة ، مما قد يؤثر على الطريقة التى سوف يدلون بأصواتهم بها » .

وهدد رئيس الوزراء بأنه سوف يستقيل مالم يدرك « فاروق » دور الملك الدستورى ويحترمه . فطأطأ « فاروق » راسه ، وكان قد قرر على الفور أن « محمد محمود » لابد وأن يستقيل ، كما انه كان قد اختار الرجل الذى سيحل محله : « على ماهر » .

وكان « على ماهر » والملك يفكران بعقلية واحدة فى ذلك الوقت. وكان رئيس البلاط الملكى قد اوضح لـ«فاروق» رؤيته الخاصة بالوحدة العربية ، وقد تعلق بها « فاروق » . وانبثقت من هذه الفكرة رغبة الملك الشاب فى توحيد مصر والدول العربية الاخرى عن طريق سلسلة من الزيجات .. وكانت « فوزية » اخته الهادئة المطيعة هى الاولى .

وكان «محمد محمود» قدقدم استقالته لدواع صحية. واصبح « علي ماهر » رئيسا للحكومة . وكان « فاروق » قد كبت طموحات حزب الوفد ، واصبح في ذلك الوقت يحكم البلاد كما كان يريد ويرغب ، وتصور انه من الممكن أن يشـــاهد نفسه رئيسا للعالم العربى فى النهاية .

وكان لايزال عليه ، بالطبع ، أن يكافح البريطانيين ويصطدم بهم ، الا انه هو و « على ماهر » تكهنا بنهاية لهذه المشكلة . اذ كان في مقدورهما ، حسب تصورهما ، أن يتركا لالمانيـا وايطاليا مهمة القضاء على قوات الاحتلال . وكان « على ماهر » يعتقد أن « ميونيخ » قد قربت ساعة النهاية بالنسبة للديمقراطيات الغربية ، التى ماتلبث ان تجد نفسها متورطة فى حرب ضـــد الدكتاتوريات الفاشية ، وأن تلك الحرب لايمكن أن ينتج عنهـــا سوى نتيجة واحدة الا وهي : هزيمة بريطانيا .

واقر « فاروق » تصور « على ماهر » للموقف ، وتصـــور ان في مقدورهما الاعتماد على الألمان والايطاليين للتغلب علـى البريطانيين و .. ألم يصف «موسوليني» ايطاليا ومصر بأنهما يضمان « شعبين يوحدهما بحر واحد » !

وكان القصر وحكومة « على ماهر » قادرين على التغـاضي ، ان لم يكن تشجيع ، الدعاية المكثفة التى اقامتها ايطاليا والمانيـا فى أشهر ماقبل الحرب . وشجعا المبادلات بين الدول الثلاث .

وقدم الى مصر الماريشال « بالبو » الايطالى ، ودكتـــور « جوزيف جوبلز » الألمانى .

وانتشرت في جميع انحاء البلاد المظاهرات المعادية لبريطانيا التى نظمها الاخوان المسلمون بزعامة « حسن البنا » وبتأييد من صحف الوفد ..

وتطلع كل فرد باهتمام لمراقبة الموقف ، عنـــدما وصلت التقارير الى القاهرة ، تفيد بأن الايطاليين قد حشدوا مائة الف جندى على حدود الصحراء الغربية ، وانهم قد انزلوا طائرة في مصر أيضا ، لاستطلاع مطاراتها .

وعندما غزت المانيا بولندا ، اعلنت بريطانيا الحرب ، ودعا

سير « مايلز لامبسون » « على ماهر » لاتخاذ الخطوات الضرورية لتنفيذ البند الثامن من معاهدة ١٩٣٦، التى تنص على أن تقوم مصر بمساعدة بريطانيا فى زمن الحرب . واعلنت حالة حصار . وتحولت البلاد الى مناطق عسكرية . والقى القبض على الرعايا الالمان ، وصودرت ممتلكاتهم .

والقى « على ماهر » خطابا فى البرلمان المصرى الذى تم افتتاحه بعد نشوب الحرب بستة أسابيع أعلن فيه :

« فى بداية هذه الدورة الجديدة ، وبينما الحرب تشتعل من حولنا ، يطيب لى أن أكرر لكم بأن التعاون مع حلفائنا سيكون فى المستقبل كما كان فى الماضى دائما ، هو أفضل دليل لنا فى انجاز مهامنا . لذلك فان حلفاءنا سوف يتلقون منا كل مساعدة ممكنة » .

ولم يكن أحد فى الدوائر الحكومية يشك فى المكان الذى يكمن فيه ولاء « على ماهر » الحقيقى ، أو ولاء « فاروق » كذلك .

واذا كان « فاروق » قد تصور أن الحرب سوف تهىء له فرصة تسوية حساباته مع بريطانيا ، فقد أساء التقدير بصورة ضارة .

وأدرك البريطانيون حقيقة موقف « فاروق » و « على ماهر » منهم ، لذلك أخذوا يتجسسون عليهما ..

وكانت السفارة البريطانية تتغاضى عن هفواته الشخصية ، الا أنها لم تتمكن من التغاضى عن استخدام قصره كموقع لتسريب الاسرار العسكرية الى العدو .

اذ بلغ السفارة وقيادة القوات البريطانية ، عن طريق المخابرات ، انه من غير الممكن الوثوق بكل من القصر وحكومة « على ماهر » . وقد تأكدوا من أن « على ماهر » كان يسرب المعلومات عن طريق أحد وزرائه الذى كان يقوم برحلة أسبوعية الى « انقره » .

ومنذ عهد « فؤاد » ، كان هناك بعض الناس يشكون فى

أن رئيس الوزراء قد باع خدماته الى الايطاليين .. ولم يكن هو الوحيد الذي فعل ذلك . اذ أن « اسماعيل صدقي » باشا كان قد تسلم عرضا سخيا من روما .

وأخيرا ، تصرفت الحكومة البريطانية بنفسها . فبعثت بمذكرة الى « فاروق » تطلب منه طرد « على ماهر » بسبب تخلفه عن التعاون معهم طبقا لبنود المعاهدة .

واستقال « على ماهر » في ٢٢ من يونيو سنة ١٩٤٠ ، ودعا « فاروق » « حسن صبري » باشا لتشكيل الحكومة الجديدة وكان « حسن صبري » صديقا قديما لـ « النحاس » وللوفد ، الا أنه كان مستقلا في ذلك الوقت .

وشكل « صبري » حكومة ائتلافية من الليبراليين والسعديين وحزب الملك ، ونجح في ايجاد نوع من التفاهم مع البريطانيين، لكن حكومته استمرت اربعة أشهر فقط . اذ بينما كان يقرأ خطاب العرش أمام البرلمان ، وعلى بعد خمس ياردات من « فاروق » ، انهار « حسن صبري » ، وفارق الحياة .

وقد وعد الخطاب ، وكان أقصر خطاب يلقى أمام البرلمان، بالتعاون مع بريطانيا .

وتعاونت الحكومة التي شكلت بعد ذلك برئاسة « حسين سري » باشا ، مع بريطانيا أيضا .

الا أن القاهرة والاسكندرية ، كانتا في تلك الايام ، تتأثران بسير المعارك في جبهة القتال ، وكانت أية هزيمة تلحق بالحلفاء تزيد من ضجر وتململ السياسيين .

وفي نوبة معتادة ، كان «النحاس» باشا قد طلب وعدا بأن بريطانيا سوف تجلو عن مصر بعد الحرب ، وقبلت وزارة الخارجية البريطانية أن تقدم هذا الوعد .

وفي سبتمبر سنة ١٩٤٠ ، وعندما اندفع المارشال « رودولفو جرازياني » بقواته عبر الحدود الى « سيدي براني » حيا الطلبة الانتصار الايطالي في الشوارع . ولكن الحالة هدأت عندما قام الجنرال سير « ريتشارد أوكونور » بهجوم

مضاد رائع ، أسر فيه ثمانية وثلاثين الف ايطالى واستولى على أربعمائة مدفع ، وخمسين دبابة ، وقتل وجرح عدة مئات من الايطاليين .

وعندما وصل جنرال « اروين روميل » فى ربيع سنة ١٩٤١ حول الموقف مرة أخرى الى صالح المحور .

وبعد أن استولى « روميل » على « طبرق » ، وبينما كان يتعقب الجيش الثامن البريطانى تجاه « سيدى برانى » ، أمر « هتلر » قواته فجأة بغزو « روسيا » .

وكانت هذه أسوأ مراحل الحرب فى الشرق الأوسط بالنسبة للحلفاء . اذ بدا كما لو كان « فاروق » و « على ماهر » قد تصوروا أن الأمور تسير بالنسبة لخطتهما سيرا حسنا . وبدا لهما أن البريطانيين فى منطقة القناة سوف يستسلمون أيضا . وبدأ القصر وحلفاؤه يتأملون ويفكرون فى نتائج هزيمة انجلو ـ روسية ساحقة ، وقد أقلقتهم امكانية حدوث ذلك قليلا ، لأنه كان هناك رأى شبه عام أن ألمانيا قد تكون أقل الأشرار حدة وبشاعة .

واصبحت القاهرة مقرا لكافة انواع الجواسيس من مختلف الجنسيات والولاءات ، وكانوا منتشرين فى كل مكان : فى السفارات ، وفى القصر ، وفى القيادة العامة للقوات المسلحة البريطانية . وعندما وصل « انتونى ايدن » ، وزير الخارجية البريطانية الى القاهرة لمناقشة مسألة نقل قوات لمساعدة اليونان ، تسلم برقية من « تشرشل » يقول له فيها : « .. عندما تصبح فى الموقع ، يتعين عليك التعامل بحرص مع رئيس الوزارة المصرية ، ومع « فاروق » ومع أى فرد آخر فيما يتعلق باحتياجات الأمن ، اذ أنه مما لا يطاق ان تصبح الفوضية الرومانية وكرا للجواسيس الالمان ، أو ان تصبح منطقة القناة مرتعا لوكلاء العدو . انني أعتمد عليك من أجل انهاء كل هذه المعاملة الجائرة التى نتلقاها على يد أولئك الذين انقذناهم » .

وبالتعاون مع مخابرات الحلفاء ، القت الحكومة المصرية القبض على كثير من الجواسيس .

الا ان عملية تسريب المعلومات ظلت مستمرة . وكانت الاذاعــة الايطالية لاتزال تردد نوع المعلومات التى لايمكن الحصول عليها الا من القصر أو من الحكومة . وبدت يوما كما لو كانت على دراية تامة بما يحدث فى القصر وفى مجلس الوزراء ، قبل ان تتمكن القيادة العامة أو السفارة البريطانية من معرفتــه بعشر دقائق تقريبا . كيف نفذوا من ستار الرقابة ؟ لم يكن هناك أى جواب واضح سوى : عن طريق القصر . اذ كان لدى الملك « فاروق » فى انشاص ، التى تبعد عن القاهرة بثلاثين ميلا ، قصر به أقوى جهاز ارسال واستقبال فى الشرق الاوسط وما لبثت المخابرات البريطانية ان ادركت ان هذا الجهاز هــو الثغرة الموجودة فى سياجهم الأمنى ، فأضافوا صفرا على عدد القوات البريطانية التى تعمل فى الدلتا ، وسربوا اشارة بذلك الى القصر ، وانتظروا رد الفعل الايطالى . وكان ما حــدث سببا فى تأكد البريطانيين من صدق شكوكهم .

ولكن من الذى كان يقوم بهذه العملية من بين الموجودين فى القصر ؟ وأشارت الدلائل ، بصورة طبيعية ، الى السبعة عشر الذين كانوا يعملون فى خدمة « فاروق» وخاصة « بوللى » و « بييترو ديللا فيل » و « ادواردو كــــافاتزى » مــربى الكلاب الملكية .

وكان « فاروق » يعمل على اغاظة « لامبسون » والبريطانيين عن طريق زيادة عطفه ورعايته لخدمه الايطاليين . ومن ذلك انه منحهم جميعا الجنسية المصرية . ثم أظهر انه لم يفقد روح الدعابة فيه وذلك بمنحهم طابعا شرقيا ، وجعلهم يدفعون ثمن جنسيتهم الجديدة . اذ جمعهم يوما وقال لهم : « أنتم تعرفون ان المسلمين يتم ختانهم والاوربيين لا ، لذلك فاننى أصــدرت اوامرى الى الجراح أن يجرى لكم هذه العملية . »

وأطاح جانبا بكل احتجاجاتهم ، وقال : « انه مرسوم ملكى »

ورضخ « بوللى » و « بييترو » و « كارو » والآخـــرون للمرسوم الملكى على مضض ، بينما رفض مربى الكلاب الملكية.

الا أن شرابا باردا افقده الوعى ، وعندما استيقظ ، وجد نفسه مستلقيا على فراشه بجوار زملائه ، فى مستشفى القصر ، وقد اجريت له العملية ايضا .

الا أن تدبيرات « فاروق » لم تمنع السفير البريطانى من حث القصر على صرف الايطاليين من الخدمة .

وقد ابتهج « لامبسون » كثيرا عندما سمع بقصة كشفت النقاب عن موقف « فاروق » المعادى لبريطانيا ، وعن خوفه منهم ، اذ ظل « فاروق» يحلم فى منامه بصورة مستمرة حلما مروعا «كابوس » ، يرى فيه أسدين يتعقبانه ، وقد اقلقه هذا الحلم كثيرا لدرجة أنه سعى الى «على ماهر » يطلب منه تفسيرا ولم يتلكأ « على ماهر » فى استغلال الموقف ، اذ بادر بتذكير « فاروق » بالدولة التى لديها أسد فى شعارها .

الا أن الكابوس ظل يظهر له كل يوم ، ويقلقه فى نومه ، وبدأ يتصرف مثل أى فرد مصاب بالفوبيا ــ « وهو هلع مرضى من شيء معين » ــ من القوات البريطانية ، واخذ يدرس مسألة التخلص منهم كما لو كانوا يشكلون خطرا على عرشه .

ولجأ « فاروق » الى الاستغراق فى اللهو والعربدة . وكان كل ليلة يتوجه الى أحد الاندية الليلية . حيث يجلس على احدى الموائد المحجوزة له مسبقا ، بينما « بوللى » يتردد بين الموائد ساعيا الى اختيار أجمل النساء لدفعهن الى الجلوس مع مليكه .

***

وفى بداية عام ١٩٤١ ، اقنع «حسنين» الملك بالقيام بأول اجازة حقيقية ، بعيدا عن الحرب المشتعلة فى شمال مصر . وكانت القاهرة فى تلك اللحظة قد اصبحت اكثر هدوءا ،فيما عدا بعض الصيحات المتفرقة من القوى الوطنية ، وكان فى مقدور الحكومة أن تعالج الامور بدون اللجوء الى القصر عدة

اسابيع ، وكان البريطانيون قد أعادوا الفيلق الافـــريقى الى « درنة » ، وشهدت القاهرة عاصفة سياسية بسيطة ، اذ كان سير « مايلز لامبسون » يطالب بطرد الايطاليين من القصـــر ، وكان يحث على الغاء العلاقات الدبلوماسية مع حكومة « فيشى» الفرنسية واغلاق مفوضيتها التى كان الســـفير يؤكـــد أن الالمان يتخذونها كمركز للتجسس . وكان من الصـــعب حجز الملك وأعضاء بلاطه البـــارزين فى العاصـــــمة ، لذلك تركه البريطانيون يبدأ رحلته هوورفاقه علىظهر باخرة الىأسوان.

وعاد « فاروق » فى نهاية شهر يناير ليجد موقفا متغيراً . اذ كان « روميل » قد قام بهجــــوم مضاد ، وارغم القـــوات البريطانية على التراجع الى « طبرق » والى « الغـــزالة » ، حيث بدا كما لو كانوا يتنازلون عن مزيد من الأرض . وانتشرت المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية هاتفة « تسقط بريطانيا » ولم تقلق هزيمة البريطانيين والمظاهرات « فاروق » كثـــيرا . الا أنه ثار وغضب عندما أبلغه رجال بلاطه أن « لامبسون » قد انتصر فى مسألة حكومة « فيشى » . اذ كان « حسين سرى » قد تصرف فى هذه المسألة دون الرجوع الى الملك .

وفى تلك اللحظة ، واجه « فاروق » ضغطا آخر لطـــرد الإيطاليين العاملين معه . فثار « فاروق » وقال :

«ان سير «مايلز» يعتقد انه قد فاز بالجولة الأولى ، لكننى سوف أوجه اليه ضربة قاضية فى الجولة الثانية » .

ونظم طلبة الازهر مظاهرة عنيفة داخـــل جامعتهم وفى الشوارع ، واكتشفت الحكومة أن الشيخ « المراغى » ، الذى لم يكن صديقا للبريطانيين ، كان يثير حالةالسخط والاضطرابات وأن « على ماهر » كان يتنقل من جديد فيما بين القصـــر وأعضاء وزارته القديمة . وعندما توجه « حسين سرى » الى الملك يطلب منه أن يؤيده ويسانده من أجل كبت مظـــاهرات الطلبة ، هز « فاروق » كتفيه استهجانا . وكانت هذه الايماءة

تعنى ان « سرى » قد اقيل من منصبه كرئيس للوزراء ، ولكن من الذى سيخلفه سوى « على ماهر » ؟

وفى يوم الاحد الاول من فبراير ، ذهب « لامبسون » فى رحلة صيد الى الفيوم ، وفى المساء ، تسلم رسالة عاجلة من سفارته تفيد أن « حسين سرى » سوف يقدم استقالته للملك ، وكان شبح « على ماهر» يتعاظم ، وكانت حقيقة أن « روميل» يتقدم تجاه مصر ، سببا فى ارغام سير « مايلز » على العودة الى القاهرة على الفور .

وفى تلك الليلة ، سحب « مايلز » « حسين سرى » من حفل عشاء كان يقيمه فى منزله ليشرح له الموقف. وقال رئيس الوزراء ان « فاروق » مصمم على تشكيل حكومة جديدة تكون اكثر ولاء له ، واذا لم يكن « على ماهر » هو الذى سيشكلها ، فانها ستكون حكومة ائتلافية من أولئك الأشخاص الذين خدموه منذ أن طرد « النحاس » والوفد .

وقد أيد « سرى » ايضا أن السبيل الوحيد لاقرار الموقف المضطرب ، وكبت مؤامرات القصر هو اعادة « النحاس » .

وكان كل من الرجلين لا يشك فى طبيعة رد فعل الملك تجاه مثل هذا الاقتراح . اذ كان «فاروق » ينظر الى « النحاس » والوفد على أنهما يشكلان تهديدا له أكثر من « لامبسون » والبريطانيين . وكان « لامبسون » يعتقد أن التعاون القائم بين علويه سوف يدفع « فاروق » الى المقاومة أطول مدة ممكنة ، وأن كلا الطرفين لن يستسلما بسهولة .

وعندما حدث الصدام ، كان له اثر عظيم فى السياسة المصرية حتى نهاية حكم « فاروق » .

***

الجـــزء الرابــــع

حـــادث ٤ فبـرايـر

كانت لحظة من أكثر لحظات الحرب حرجا ، وكانت القوات البريطانية قد عانت من هزائم كثيرة فى صحراء شمال افريقيا .. وفى القاهرة سارت جموع الشعب حاملة شعارات ومرددة هتافات ضد بريطانيا .. عندئذ قامت بريطانيا بانقلاب تاريخى ، تم تدبيره وتنفيـذه فى سرية تامة . ومرت عدة شهور قبل أن تبدأ الهمسات تتردد حول الأحداث الغريبة التى جرت فى القاهرة فى ليلة يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، عندما ظهرت الدبابات البريطانية فجأة حـول قصر الملك « فاروق » .

عندما كان « فاروق » يطلب طعام الافطار ، كان خادمه الايطالي « بوللي » يحضر صينية عليها طبق كبير به ثلاثون بيضة ساخنة وخبز توست وشاي ، وعندما ينتهي « فاروق » من التهام أربع بيضات ، كان باقي البيض يصبح باردا ، لذلك كان على « بوللي » أن يحضر صينية أخرى وطبقا آخر به بيض ساخن .
ويتكرر هذا المشهد ، الى أن يبدى « فاروق » رغبته في الانتقال الى وجبة افطاره الثانية ـ لحم الكركند « جراد البحر » ، وشريحة من لحم البقر ، وقطعة من لحم الحمل ، وفروج وسمان وحمام مشوى .
وما أن تمر عدة ساعات على هذه الوجبة الثانية ، حتى يكون « فاروق » قد شعر بالجوع الحاد يعصر معدته ، ولا يمكن لأى فرد تصادف أن تناول الغداء أو العشاء مع « فاروق » أن ينسى الشراهة التى كان الملك يتناول بها طعامه .

نهم مستمر

اما عن مشروباته ، فلم يكن يشرب الخمور ، لكنه كان في يوم واحد يشرب ثلاثين زجاجة من عصير الفواكه والليمونادة ، أو عصير البرتقال الفوار ، وكان يقوم بابتلاع محتويات الزجاجة تلو الأخرى الى ان ينتفخ بطنه، ويكاد السائل يفيض من حلقه.
لكن لماذا كان « فاروق » يتخم نفسه بالطعام والمشروبات غير المسكرة ؟ ..
هل كان يشعر مثل كثير من أعوانه وأعضاء بلاطه أن الملك السمين الضخم هو الملك العظيم ، وأن هيبته ومقامه سوف يزدادان بازدياد حجمه ؟ ..
أم انه كان رجلا نهما مصابا بالعصاب ، ويشعر بالاحباط والقلق وعدم الاستقرار وبالنقص ؟ ..
هنا ندنو من السبب الحقيقى لجوع « فاروق » ونهمه المستمر ...

المخنث

اذ أن المشكلة لها جذور نفسية عميقة .. فـ « فاروق »

الملك الذى كان يحب أن يجسد الكمال والنضج والخلو من العيوب والشواذ ، اكتشف أخيرا بعد زواجه أن الطبيعة كانت جائرة غير منصفة له . اذ أن مظهره الحسن ، وهيئته الوسيمة المليحة ، وقوته الجسمانية ، ورغبته الدائمة فى الحياة ، كل تلك الأمور بدا أنها تسخر منه وتضلله ، نظرا لافتقاره الى فحولة الرجال .

وكانت كلمة « المخنث » ، هى التعبير اللطيف الذى كان والده الملك « فؤاد » يستخدمه لوصف ابنه « فاروق » . وقد سببت تلك الحالة قلقا بالغا لـ « فؤاد » الذى دعا أطباء عديدين لمعالجة ابنه « فاروق » من هذه الحالة .. لكن الأطباء هزوا أكتافهم كما لو كانت حالة ميئوسا منها .. وربما كان يتعين عليهم تجربة هرمونات الذكورة ، لكن تلك الهرمونات لم يكن قد تم استخدامها الا فى التجارب فقط فى ذلك الوقت . ومن كان فى مقدوره القول بأنها قد تكون ذات فاعلية بالنسبة لـ « فاروق » ، أو ما اذا كانت ستحدث مفعولا جانبيا يزيد الحالة سوءا ؟ .. فتخلى « فؤاد » عن تلك الفكرة تماما .

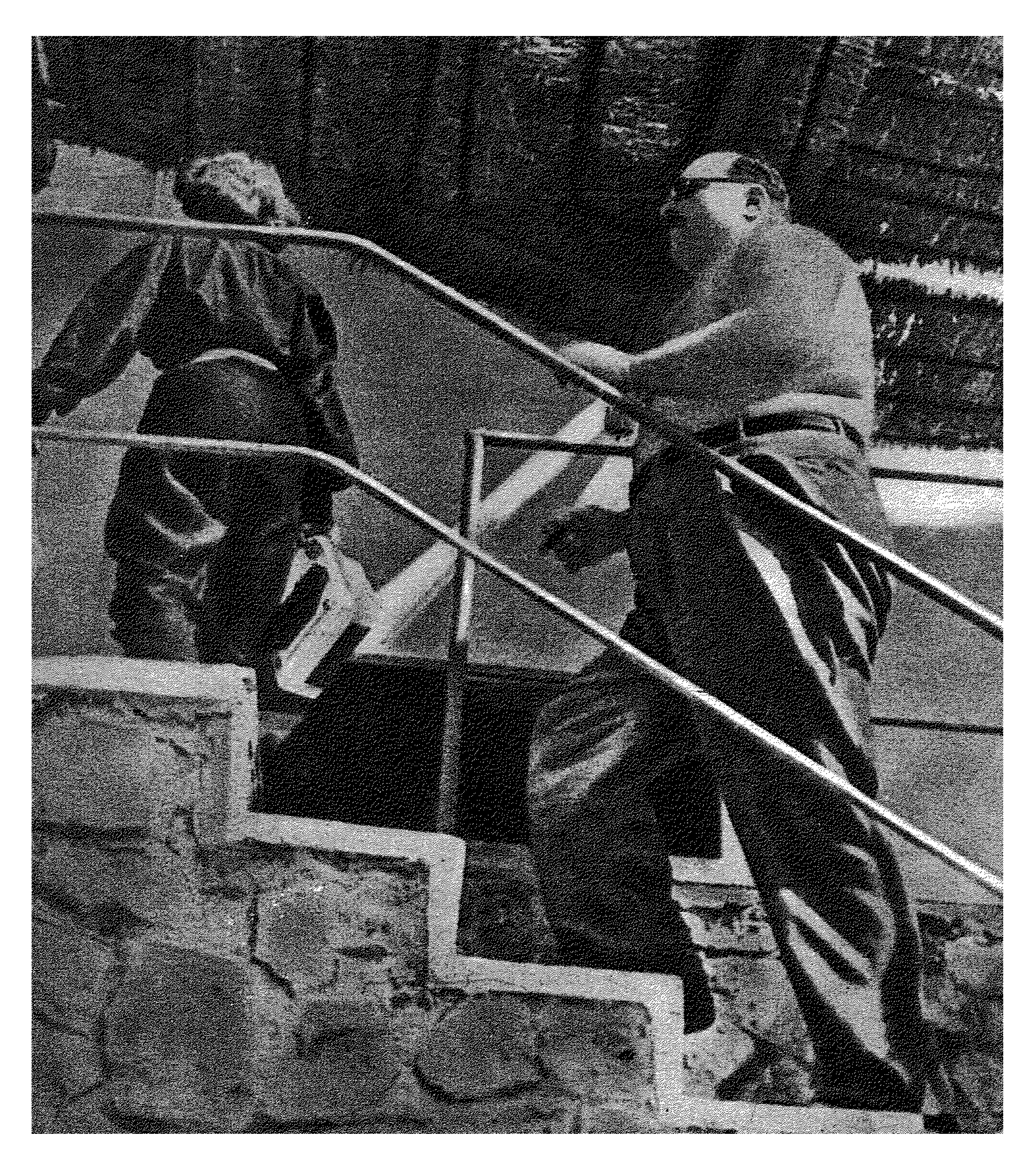
وبالنسبة لرجل عادى ، ربما كانت تلك الحالة تمثل كارثة ، اما بالنسبة للملك فقد كانت تمثل مأساة ..

شعور بالنقص

وقد غرست هذه الحالة فى نفس « فاروق » شعورا بالنقص مما دفعه الى البحث عن أشكال أخرى من المتعة ، وبسبب ضعفه وقصوره الطبيعى ، كان عليه على مدى عدة أعوام ، أن يقيم سدا نفسيا بينه وبين الرغبات الجنسية ، كما انه اخذ يميل الى جمع الصور الخليعة ، والتماثيل العارية ، وأصبح لديه عدد كبير منها .

وكتب أحد الأطباء النفسانيين المصريين المشهورين يقول عن « فاروق » :

« انه كان كثيرا مايذكرنى بسلوكه هذا ، بالتصور الفرويدى عن الرجل العجوز الذى سئل عن السبب الذى من أجله يذهب الى الأوبرا كل ليلة مع فتاة جديدة ، فما كان منه الا أن اجاب



ناريمان والملك السابق « فاروق »
في « كابري » بعد رحيلهما عن «مصر».

« ان الشيء الوحيد الذى يمكنني عمله ، وأنا فى مثل سني هذا ، هو أن أظهر معهن فى الخارج ، للتباهى بهن فقط » !!

لكن « فاروق » تمكن في السنة الاولى لزواجه بـ « فريدة » من تجاهل وتناسي عجزه الجسدي . وكانت هيبته بين افراد الشعب لا تزال مرتفعة ، وكان «فاروق» يحب ملكته التي كانت تنتظر طفلا ..

وجاءت بنتا ، لذلك لم تكن الوريث الذى كان « فاروق » يرجوه لعرشه ..

ووقف « فاروق » أمام غرفة العمليات ، وقد اكتأب وجهه ، بينما كانت المدافع فى الخارج تطلق احدى وعشرين طلقة ، لأنه لو كان المولود ولدا ، لأطلقت مائة طلقة وطلقة .

وتمتم « فاروق » قائلا :

« سوف يكون حبها بالمثل تماما » .

واطلق على الطفلة اسم « فريال » ، على اسم جدته لأبيه ، وتسلم كل طفل ولد فى ذلك اليوم مائة قرش من الملك .

الحب المفقود

ولم يكن « فاروق » يحب السفير البريطاني فى القاهرة ، سير « مايلز لامبسون » . وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية ، وعند دخول ايطاليا الحرب بصفة خاصة سنة ١٩٤٠ ، تدهورت العلاقات بين الرجلين بصورة أكثر عنفا وحدة كما أوضحنا من قبل .

كانت القوات البريطانية تحارب الايطاليين فى صحراء شمال أفريقيا ، ومع ذلك استبقى « فاروق » حاشيته من الخدم والمعاونين الايطاليين ، وتأكد للحكومة البريطانية أن تسريب معلومات الأمن وتحركات القوات ، لم يكن ليتم الا عن طريق الحكومة أو القصر .

وأشار اصبع الاتهام ، بطبيعة الحال ، الى السبعة عشر ايطاليا العاملين ضمن حاشية « فاروق » ، وخاصة خادمه

الخاص « بوللى » و « ادوارد كافاتزى » المشرف على الكلاب الملكية .

ومع أن الايطاليين الآخرين كانوا قد غادروا مصر ، أو تم حجزهم ، فقد عمل « فاروق » على اغاظة « لامبسون » اذ منح الجنسية المصرية لخدمه من الايطاليين ، كما رأينا من قبل ، وحتى يتوج عمله هذا ، منح لقب الباكوية لـ « انطونيو بوللى » ، رجل كل المهام .

لكن خطة « فاروق » لم تعق السفير البريطانى عن حث القصر على صرف الايطاليين من الخدمة ، وكان « فاروق » يرفض ذلك باصرار .

وتمتم « فاروق » قائلا :

« لسوف أتخلص من الايطاليين العاملين فى حاشيتى ، اذا ماتخلص هو ممن عنده منهم . »

اذ كان السفير البريطانى « لامبسون » قد تزوج من « جاكلين كاستيلانى » ، ابنة البروفسور الايطالى الكونت « كاستيلانى » ، سنة ١٩٣٤ ، بعد وفاة زوجته الأولى .

ضربة بضربة

وكان « لامبسون » يغضب بشدة عندما كان أى شخص يكرر أمامه اهانة « فاروق » له .. وكانت فى الواقع ضربة بضربة ، لأن السفير البريطانى لم يكن يكف قط عن ذكر حكايات ونوادر عن « فاروق » وبصوت مرتفع فى أى مكان يوجد فيه ، حتى يمكن أن تصل الى مسامع الملك فى أى مطعم يتناول طعامه فيه .

وكانت معظم الحكايات الخاصة بـ «فاروق» حكايات ساخرة تتعلق بالنواحى الكريهة لشخصيته .

وتذكر احدى تلك الحكايات ان سيارة « فاروق » كانت قد اصطدمت بسيارة لورى بريطانية ، وان السائق البريطانى قال وهو يدلى بشهادته أمام قاضى التحقيق :

« سيدى ، كنت أتقدم عبر طريق الاسماعيلية ، عندما

اسرعت هذه السيارة نحوى وبها شبحان ضخمان .. »

وارجا رئيس المحكمة الجلسة حتى يعطى للسائق فرصة لتلخيص أقواله وتركيزها بدقة .. وعندما استؤنفت الجلسة ، عاد السائق ليقول :

« سيدى .. كنت اتقدم عبر طريق الاسماعيلية ، عندما أسرعت هذه السيارة نحوى وكان بها جلالة الملك « فاروق » وشبح ضخم آخر معه .. »

وتقول رواية أخرى ان ثلاثة من ضباط سلاح الطيران الملكى البريطانى كانوا فى طريقهم الى احد النوادى الليلية فى شارع الهرم ، عندما تعطلت السيارة التى كانت تقلهم ، فتقدمت منهم سيارة كانت قريبة منهم ، واشار راكبها عليهم أن يركبوا معه ، اذ كان متجها فى طريقهم .

وعندما سألهم الراكب : مارايكم فى مصر ؟.. ما كان منهم الا أن أجابوا عن سؤاله هذا بأن رددوا اشهر الأغانى الشعبية عندهم شهرة فى ذلك الوقت ، وكانت عن ملك مصر :

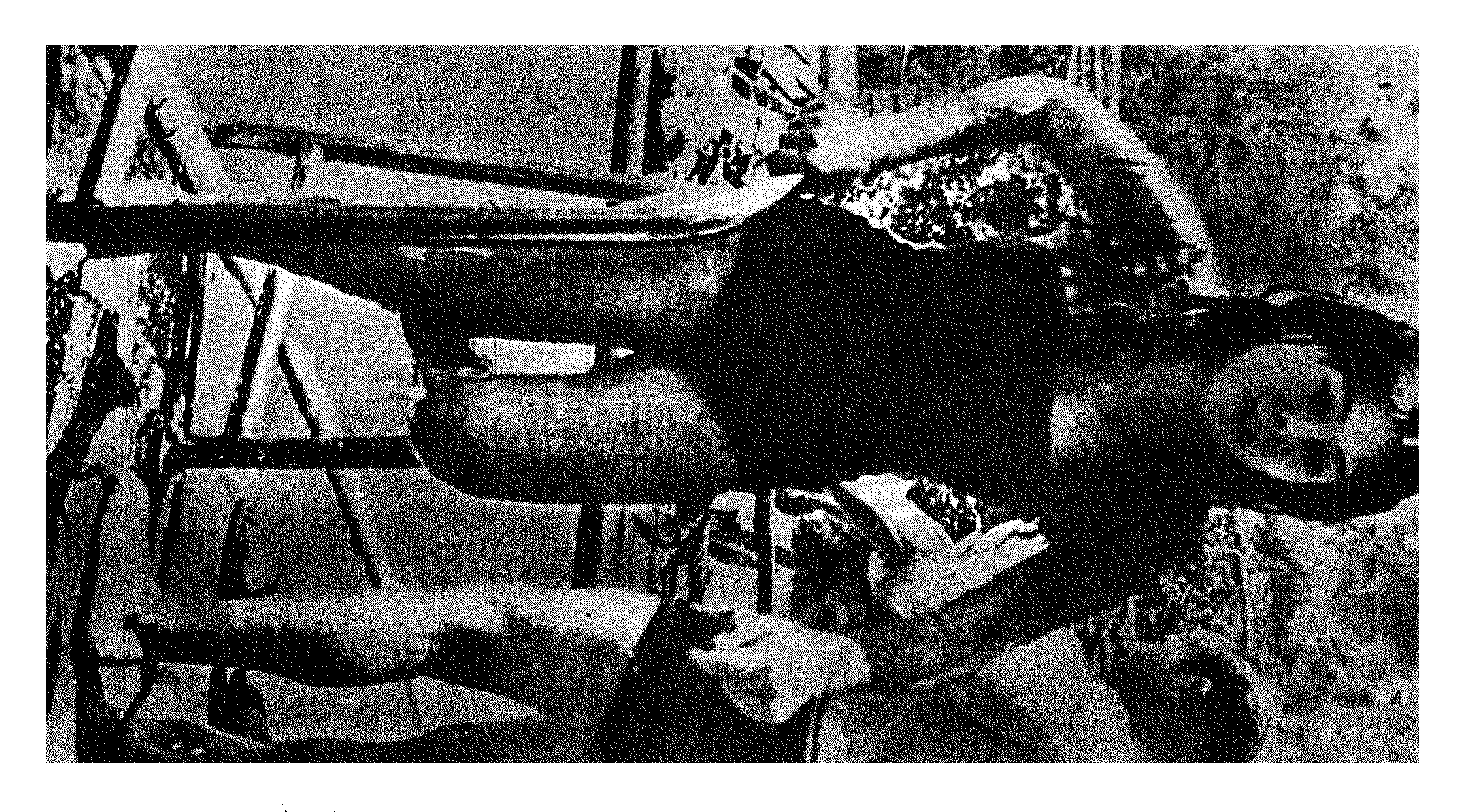
« الملك فاروق .. الملك فاروق
انه محتال عجوز قذر
اما الملكة «فريدة» فهى مرحة للغاية
ذلك لأنها تعيش بأسلوب أسرتها !! »

وشكر ضباط سلاح الطيران الملكى سائق السيارة ، ثم دخلوا النادى الليلى ، حيث اختاروا لهم منضدة مناسبة .. وما أن استقروا على مقاعدهم ، حتى كان الساقى الأسمر يضع زجاجة شمبانيا مثلجة أمامهم ، وقال لهم :

« مع تحيات مولاى جلالة الملك . »

ثم أشار الى منضدة أمام حلبة الرقص ، حيث كان سائقهم جالسا وهم يبتسم اليهم بابتهاج .. لقد كان هو الملك « فاروق » ..

وفى شهر ابريل سنة ١٩٤٠ ، ولدت « فريدة » بنتا أخرى سماها «فاروق» «فوزية» ، على اسم شقيقته الاثيرة الى قلبه .



« فاروق » على البلاج فى لباس البحر يبحث عن صيد جديد ! وضحية اخرى ، بينما ابنته « فايزة » بثياب الاستحمام تغادر حوض السباحة فى « كابرى » ..

وطوال عدة أيام بعد ذلك ، كان « فاروق » لا يظهر في القصر الا نادرا ، حتى « بوللي » نفسه كان لا يجسر على النطق بأية كلمة تتعلق بالملك وتحركاته .

وانتشرت همسات تفيد أن « فاروق » و « فريدة » كانا في نزاع وشجار مستمر ، بسبب عدم وفائه بوعده بالتخلص من الطفيليين الايطاليين الملازمين له بصفة مستمرة ، وبسبب غيابه الطويل عن القصر ، وبسبب الحفلات الصاخبة التي كان يحضرها في النوادي الليلية ، ومايثيره هذا من فضائح وأقاويل وشائعات حوله .

ولاحظت السيدة « ذو الفقار » ، والدة « فريدة » النفور المتزايد بين « فاروق » وابنتها ، وقالت :

« بدا انه لايهدأ ولو للحظة واحدة ، وكان على ابنتي أن ترجوه قضاء بعض الوقت مع طفلتيهما .. انها لا ترى الملك اثناء النهار قط ، كما انها لم تتناول معه الغداء والعشاء منذ مدة ، ولياليه يقضيها كلها مع حاشيته وخدمه ، مثل « بوللي » .

تسقط بريطانيا

وبالهزائم البريطانية المتكررة في معارك الصحراء ، واحتشاد جموع الطلبة المصريين في شوارع القاهرة والاسكندرية وهم يهتفون : « تسقط بريطانيا » ، اندفع الموقف السياسي في مصر الى أزمة حادة ، واهتز عرش « فاروق » بعنف .

وتوجه رئيس الوزراء « حسين سرى » الى الملك « فاروق » طالبا منه تأييده ومساندته كي يقوم بقمع مظاهرات الطلبة ، فما كان من « فاروق » الا أن هز كتفيه ، مما كان يعني الاطاحة بحكومة « حسين سرى » .

واتصل « حسين سرى » في اليوم التالي بالسفير البريطاني « لامبسون » تليفونيا ، واخبره أن « فاروق » طلب منه أن يستقيل .

وقد رأت بريطانيا في ذلك الوقت ، انه من الضروري لها ،

وهى تواجه موقفا عصيبا فى ميدان القتال بالصحراء الغربية ، أن تحتفظ فى القاهرة بحكومة تراها مفيدة لأغراضها ، والا فان القاعدة البريطانية فى الشرق الاوسط سوف تواجه اخطارا عنيفة ، ومن ثم تنهار استراتيجيتها العسكرية تماما .

بداية الأزمة

وابدت الحكومة البريطانية رغبتها فى أن يتولى « النحاس» باشا ــ الذى سبق له أن تقلد « فؤاد » والد « فاروق» ــ رئاسة الوزارة ، وكان « النحاس » مؤيدا للمعاهدة المصرية البريطانية فى ذلك الحين « وهى نفسها المعاهدة التى الغاها « النحاس.» سنة ١٩٥١ » .

لكن « فاروق » اختار رجلا كان البريطانيون يكرهونه بشدة ولا يثقون به ، وهو رئيس الوزراء السابق « علي ماهر » ، الذى كان مؤيدا للمحور ، وكان يعتقد ان المانيا وايطاليا سوف تنتصران فى الحرب ، وقال البريطانيون يومها انه كان يتعاون مع الايطاليين .

وكان هذا هو الرجل الذى اقترحه « فاروق » لتولى رئاسة الوزارة المصرية فى الوقت الذى كانت فيه القوات البريطانية تتراجع فى الصحراء نحو الدلتا أمام تقدم قوات « روميل » عام ١٩٤٢ .

فاجتمعت لجنة الدفاع ، التى كانت تضم قادة الأسلحة البريطانية الثلاثة ، لدراسة الموقف ، وحضر الاجتماع السفير البريطانى « لامبسون » ، و « أوليفر لتيلتون » ، الذى كان « ونستون تشرشل » رئيس الوزراء البريطانى قد بعث به منذ عدة شهور الى القاهرة ، كوزير دولة له كل مسئوليات الدفاع عن مصر .

وفى ذلك الاجتماع تم بحث مسألة عزل الملك « فاروق » .

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٢ من فبراير سنة ١٩٤٢ واجه سير « مايلز لامبسون » الملك « فاروق » فى مكتبه بقصر عابدين . وفى هذه المواجهة اشار « لامبسون » الى السادة

الخامسة من معاهدة ١٩٣٦ التى تشترط على كل من مصر وبريطانيا عدم تبنى أى موقف تجاه دول أجنبية يتعارض مع مواد المعاهدة .

وواصل « لامبسون » حديثه مع « فاروق » ، مبينا له أن هذا يعنى أنه يتعين على الملك أن يشكل حكومة تظل على اخلاص تام للمعاهدة ، وتنال التأييد فى البلاد ، وأعقب « لامبسون » حديثه هذا بالقول انه فى ضوء ما سبق ، يتعين على الملك أن يبعث فى طلب « مصطفى النحاس » باشا ، وترك له مهلة مدتها أربع وعشرون ساعة لينفذ هذه النصيحة ، ووافق الملك على أن المعاهدة لابد وأن تحترم ، وأنه يجب تعيين حكومة قوية ، لكنه رفض أن يتولى « النحاس » باشا رئاستها .

الا أن «لامبسون» ترك «فاروق» وهو لايشك « فاروق » على الاطلاق أن « النحاس » باشا ، وليس غيره ، هو الذى يمكنه الوفاء بتعهدات المعاهدة وما تقدمه من التزامات .

خطة لعزل فاروق

وساند « أوليفر ليتلتون » الموقف الذى اتخذه السفير « لامبسون » فى القصر ، ووضع الجيش خطة معقدة وصريحة لابعاد « فاروق » عن عرشه ، اذا ما قرر وزير الدولة والسفير ضرورة الاطاحة به .. لكن الى أين سوف ينقلونه ؟!

وقدم الادميرال « كاننجهام » ، قائد البحرية « البريطانية » الرد على هذا التساؤل قائلا :

« لدينا طرادة راسية فى السويس ، ويمكننا أن ننقله اليها لتقوم بالتجول به فى عرض البحر الأحمر ، الى أن يقرر السياسيون ماذا سيفعلون به ، ومن ثم يحددون مصيره » .

وقام ضباط هيئة الأركان العامة ببحث تفاصيل دور الجيش فى ابعاد الملك « فاروق » عن عرشه . وقرروا أن تغادر مجموعة من السيارات البوابة الرئيسية لقصر عابدين وتتجه رأسا الى الاسكندرية ثم الى بورسعيد لخداع أية تجمعات مؤيدة للملك . على أن تخرج السيارة التى تقل « فاروق »

من البوابة الخلفية للقصر ، وتتخذ عدة طرق ، قبل أن تنطلق الى الطريق المؤدى الى السويس .
وتقوم كتيبة يتم انتقاء ضباطها وجنودها بدقة ، بمحاصرة القصر اذا ما أصبح على السفير أن يقدم انذارا للملك ، على أن تتحرك مجموعة من الدبابات الى ميدان عابدين المواجه للبوابة الرئيسية للقصر لمساندة هذه القــوة فى حـالة حـــدوث اضطرابات ، على أن تصحب فصيلة من الضباط السفير لمواجهة الحرس الملكى اذا ماأبدوا أية مقاومة .
ولم يترك ضباط الأركان العامة أى شىء فى خطتهم للصدفة ، وتم وضع مسودة وثيقة التنازل عن العرش .
ومن المصادفات الغريبة أن سير « والتر مونكتون » ، الذى كان قد صاغ وثيقة التنازل عن العرش للملك « ادوارد الثامن » بسبب اصراره على الزواج من حبيبته « دوقة وندسور » .. ... هذا الرجل كان قد تم الحاقه للعمل بالسفارة البريطانية فى القاهرة منذ فترة ، وكان نفسه هو الذى كتب مســـودة وثيقة التنازل عن العرش لـ « فاروق » .
ومن الغريب حقا أن « مونكتون » أمضى وقتا طويلا للعثــور على قطعة ورق مناسبة يطلب عليها من ملك التنازل عن عرشه ... اذ أن مثل هذه الورقة كان من الصـــعوبة وجودها فى القاهرة أثناء الحرب ، ومن كان ينتظر أن يوقع ملك مصر وثيقة تنازله عن عرشه على ورقة فولســـكاب من أوراق السفارة البريطانية ؟! ونتج عن المجهودات الشاقة التى بذلتها السفارة العثور على ورقة عادية وتمت كتابة وثيقة التنازل عليها .
وقرر « فاروق » أن يخادع ، وقال انه اذا كان عليه قبــول « النحاس » باشا رئيسا للوزارة ، فربما يكون فى مقـــدوره اقناعه بتشكيل حكومة ائتلافية مع وزراء آخرين ، يميـــل « فاروق » اليهم أكثر .
وفى اليوم التالى اشتعلت جامعة « فؤاد » و« الأزهر » بالمظاهرات والاضطرابات العنيفة ، على الرغم من أن « فاروق » كان قد

بعث شخصيا برسائل الى رئيس الجامعة وشيخ الأزهر يطلب منهما أن يحاولا ابقاء طلبتهم هادئين .

وسارت جماهير الطلبة فى الشوارع تصيح وتردد هتافات معادية لبريطانيا ..

وكان الموعد الاخير لـ « فاروق » كى يوافق على الانذار البريطانى هو الساعة السادسة من بعد ظهر يوم ٤ فبراير ، وفى تلك الساعة بالضبط، دق التليفون فى مكتب «لامبسون» واخبر احد المسئولين فى بلاط الملك السفير البريطانى بأن «حسنين» رئيس الديوان الملكى ،فى طريقه اليه حاملا رد الملك.

ووصل « حسنين » بعد عشر دقائق ، وكان القلق يبدو عليه ، وقرأ على السفير بيانا من القصر يقول ان الملك قد جمع وزراءه ليتخذوا قرارهم الأخير .

ويقول البيان :

« ان الملك ووزراءه يعتقدون أن الانذار البريطانى انتهاك شنيع لمعاهدة ١٩٣٦ ولاستقلال البلاد . ولهذه الأسباب ، وبناء على نصيحتهم ، فان جلالته لايمكنه أن يوافق على تصرف ينتج عنه خرق وانتهاك للمعاهدة الانجلو ـ مصرية »

فحذر « لامبسون » « احمد حسنين » من خطورة الموقف بفظاظة ، وطلب منه أن يبلغ الملك ان « لامبسون » سوف يتوجه للقائه فى القصر الساعة التاسعة مساء . واغفل القول بأنه سوف يذهب الى القصر مصحوبا بقوات من الجيش البريطانى .

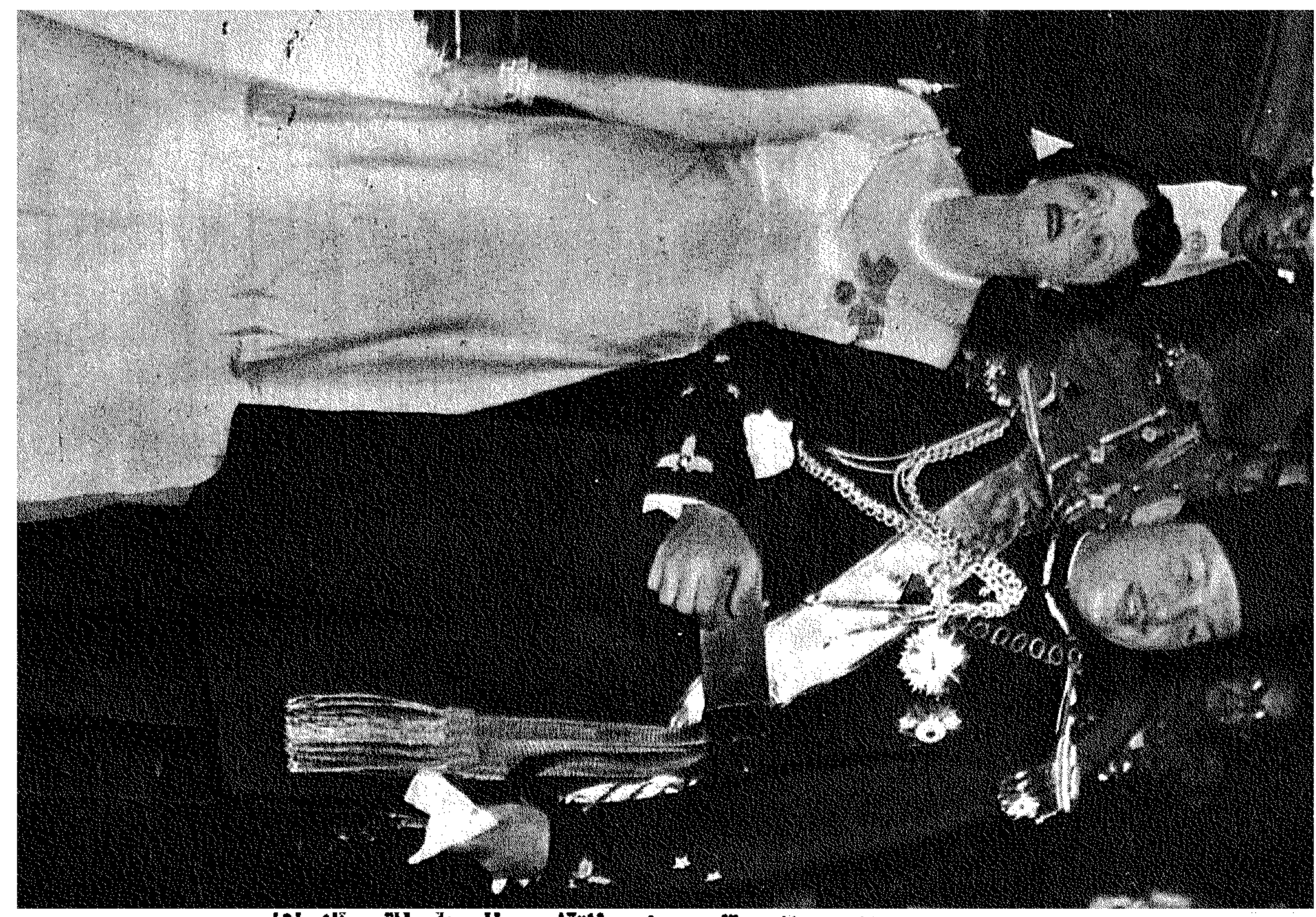
نكتة لاذعة

فهل كان لدى الملك « فاروق » اية فكرة من أن البريطانيين سوف يحاولون اسقاطه بالقوة ؟..

لقد تردد يومها أن «فاروق» كان قد سأل قادة جيشه فى ذلك الوقت :

« كم من الوقت يمكن للقاهرة الصمود ضد البريطانيين ؟ »

فأجابوا : « مدة ساعتين ، ياسيدى » .. فعاد « فاروق »



رئيس الوزراء « محمود فهمي النقراشي » باشا يقلب بعض التقارير السرية التي تلقاها من رجـــــال البـــوليس عن مغامرات الملك « فاروق » الليلية ...

يسالهم : « وكم من الوقت تستغرق محاولتهم للقبض علينا جميعا ؟ »

فكان الجواب : « ساعتان ونصف ساعة ، سيدى »

وكانت نكتة لاذعة لم تفت « فاروق » الذى كان يقامر على أساس أن « لامبسون » و « ليتلتون » والجيش البريطانى سوف يتمادون فى موقفهم ، ثم يسعون الى حل وسط ، وعندئذ سوف يبدو « فاروق » وكأنه قد حقق انتصارا عليهم .

ولم يبد على البريطانيين أى تصرف يكشف عما يدبرونه. وتم ابلاغ موظفى السفارة بأن يتناولوا طعامهم بصورة عادية فى الخارج ، لكن عليهم أن ينصتوا الى صفارات الانذار التى قد تحذرهم بالعودة .. وتم الاتفاق على كلمة « بلغم » ، ككلمة سر .

محاصرة القصر

وقبل الساعة التاسعة مساء ، غادر « لامبسون » والجنرال « ر . و . ستون » ، القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ، مبنى السفارة وبصحبتهما عشرون جنديا وضابطا تم اختيارهم بدقة متناهية . وبينما كانوا ينطلقون فى اتجاه القصر ، مروا بسيارات اللورى التى كانت تقل القوات ، وكانت تتجه أيضا فى نفس المسار ، وكانت الدبابات والسيارات المصفحة تتلمس طريقها وسط ظلام الليل ، وكانت أضواؤها تومض بينما أخذت تنتشر حول القصر . وكان الجنود المزودون بالخوذات والمسلحون بالمسدسات والرشاشات ، يتخذون مواقع لهم فى ميدان عابدين .

وفتحت بوابة القصر ، وتقدم السفير والجنرال الى داخل الساحة الأمامية للقصر ، ثم انطلق الرجلان والجنود والضباط المرافقون لهما صاعدين الدرجات الى مكتب « فاروق » مباشرة فتفرق رجال البلاط أمامهما ، وانطلق بعضهم الى غرفة الملك ، حيث أخبروه بأنهم أصبحوا محاصرين من كل جانب .

وبعد فترة سادها الهرج والمرج ، ظهر أحد رجال البلاط

ليخبر « لامبسون » بأن الملك فى انتظاره .

وما أن هم السفير بالدخول ، حتى تقدم منه ياور « فاروق» وعندما شاهد الجنرال والجنود ، اعترض سبيل السفير ، وصاح قائلا : « ليس بهذه الطريقة ، ياسير « مايلز » .. ليس بصحبة الجنود . »

فما كان من « لامبسون » الا أن أزاحه جانبا ، واندفع الى داخل الحجرة بصحبة جنرال « ستون » ، ورجلين من أعضاء البلاط ، وعندما شاهد «فاروق» ، وكان يبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما فى ذلك الوقت ، ملامح كل من السفير والجنرال، أدرك أنه لن يكون لقاء عاديا ..

وسألهما « فاروق » عما اذا كان فى مقدور « حسنين » البقاء فى الحجرة ، فهز « لامبسون » رأسه موافقا ، ثم اندفع يتحدث فى صلب الموضوع .

وثيقة التنازل

وبدأ « لامبسون » كلامه بأن ابلغ الملك بأنه قد نقض المادة الخامسة من المعاهدة البريطانية ـ المصرية باتباعه نصائح سياسيين يعملون ضد بريطانيا ولصالح العدو ، وأن الملك قد عرض أمن مصر وسلامتها للخطر، ومن ثم يصبح غير كفء للحكم. وسحب « لامبسون » وثيقة التنازل عن العرش من جيب سترته الداخلية ، وألقى بها أمام الملك ، مشيرا الى أنه من الأفضل له أن يوقعها اذا كان لايرغب فى مزيد من الاضطرابات .

فالتقط « فاروق » الورقة التى تتضمن صيغة التنازل ، وبحلق فيها للحظة ، ثم قال متسائلا :

« انها لاتعدو أن تكون قطعة ورق قذرة ... أليس كذلك ؟ »

وراقب الرجلان عينى الملك وهما تتحركان بينما كان يقرأ النص ببطء ، كما لو كان يتساءل عما سوف يفعله بشأنها .

وكان « مونكتون » قد كتب وثيقة التنازل كالآتى :

« نحن فاروق ، ملك مصر : اهتماما منا كما كنا دائما ،

بمصالح بلدنا ، التخلي بموجب هذه الوثيقة عن عرش مملكة مصر ، ومن كل حقوقي وامتيازاتي وسلطاتي الملكية في داخل المملكة ، وأحرر كل المرءوسين لي وأتباعي من كل ولاء لشخصي

« تم التوقيع في قصر عابدين في ٤ من فبراير ١٩٤٢ » .

فمد « فاروق » يده ليتناول قلما من درج مكتبه ، وانحنى فوق الورقة كي يوقعها ، معلنا تخليه عن عرشه ..

عدة لحظات أخرى ولن يصبح ملكا .

فاروق يتراجع

ولكن عندما تحركت يده للتوقيع ، أبدى « حسنين » حركة ما .. اذ تقدم من الملك بسرعة وصاح بعدة كلمات باللغة العربية لم يفهمها السفير والجنرال ، فنهض «فاروق» من انحنائه وقد سالت الدموع من عينيه :

« ألا تعطيني فرصة أخرى ، ياسير «مايلز» ؟»

وجاء الآن دور « لامبسون » كي يتردد .. اذ كان قد أدخل في حسابه أن الملك سوف يوقع الوثيقة وأنه سوف يتخلص من الصبي الذي كان يكن له كراهية شديدة . لكنه كان قد أعطى وعدا لـ « ليتلتون » بأن « فاروق » لابد وأن يعطى فرصة أخيرة اذا ماطلبها بنفسه .

ومع ذلك ، فقد أصر « لامبسون » على أنه يتعين على الملك أن يبعث لاستدعاء « مصطفى النحاس » ، وتكليفه بتشكيل وزارة برئاسته .

فقال « فاروق » باستسلام :

« لسوف أبعث في استدعائه ، في حضورك يا سير « لامبسون » ، وأطلب منه تشكيل الحكومة »

وهنا تحدث جنرال « ستون » للمرة الأولى فقال :

« طبقا لاختياره الخاص . »

فطأطأ الملك « فاروق » رأسه .

انقلاب هادىء

وهكذا زالت حالة التوتر التي سادت الحجرة لفترة ، وقدم

الملك سيجارا للحاضرين ، وجلس الرجال الأربعة يتحادثون فى غير كلفة عن أمور كثيرة ، باستثناءالسياسة والحرب .

وقد خلت الصحف الصادرة فى اليوم التالى من مانشتات تتعلق بما حدث ، طبقا لما قررته الرقابة ، لذلك كان ماحدث فى ذلك اليوم العصيب فى القاهرة ، واحدا من أكثرالانقلابات هدوءا فى التاريخ .

وقد انقذ « فاروق » من ازمة حادة كادت تطيح به وتفقده عرشه . وكان الفضل فى ذلك يرجع الى « احمد حسنين » الذى لم يترك أية فرصة لشجب «لامبسون »والمتداح الملك «فاروق»على مقاومته للمدافع والدبابات البريطانيةحتىاللحظة الأخيرة .

ويظهر جانب مما حدث فى مذكرات جنرال سير « جامبـو ويلسون » ، الذى كتب يقول :

« كنت فى سوريا عندما وردت الى أنباء أحداث القـاهرة تصف كيف أن سفيرنا هناك قد ارغم ملك مصر على تغيـير حكومته تحت التهديد بإزاحته عن العرش ، مع قيام القوات البريطانية بمحاصرة قصره .

« لقد اذهلتنى هذه الأنباء وأزعجتنى ، لأننى شـعرت بأن مجهوداتى لتقريب وجهات النظر والحصول على تعاون المصريين فى الأيام الأولى للحرب قد راحت هباء .

« وفى احدى زياراتى التالية للقاهرة ، قابلت « حسنين » باشا الذى تحدث بمرارة عن تلك الأحداث ، وقال ان اكراه الملك والضغط عليه بعنف لم يكن ضروريا .. »

ردود فعل الملك

●● ماذا كان تأثير تلك الأحداث على « فاروق » ... ؟

انه لم يجلس مكتئبا فى القصر ، واحتفل بعيد ميلاده الثانى والعشرين احتفالا كبيرا .

وبعد فترة قصيرة ، كان يجلس على مائدته المفضلة فى أوبرج

الاهرام ، عندما تقدم منه ضابط بريطانى برتبة ميجور ، وحياه ثم قال له :

« هل تتفضل بتشريفنا بتناول الطعام مع مجموعتنا » .

فابتسم « فاروق » بابتهاج وقال :

« بالطبع ـ ايها الصبى العجوز .. من أى وحدة انت ؟ »

فرد الضابط قائلا :

« من سلاح المدرعات الملكى »

فرد عليه الملك « فاروق » وهو يهز رأسه :

« لا .. ليس مع الدبابات مرة أخرى .. ومن يضمن لى أن أفلت منكم وأعود الى القصر ثانية ؟! »

السرقة هوايته

وفى شهر اغسطس سنة ١٩٤٢ ، استقبلت القاهرة زائرا فوق العادة : « ونستون تشرشل » .. فدعاه « فاروق » لتناول العشاء معه ، فوافق « تشرشل » ، مع أنه لم يكن لديه وقت كاف يقضيه مع « فاروق » ، الذى كان « تشرشل » يشك فى انه كان يلعب لعبة مزدوجة .

وفى ذلك الوقت ، كان « فاروق » مولعا بسرقة جيوب الآخرين ، وكان يتباهى بأنه أطلق سراح أحد المجرمين من سجنه ، كى يعلمه فن السرقة ، بتمرينه على بدلة وضع فيها جرسين صغيرين . وأصبح « فاروق » بارعا فى السرقة ، لدرجة انه أمكنه ، بعد فترة من التمرين ، أن يسرق جيب بدلة المجرم دون ان يدق أى جرس من الجرسين .

وأصبحت هوايته الأخيرة مشهورة فى القاهرة ، اذ انه لم يكن يقدر على مقاومة اغراء سرقة الساعات وولاعات السجائر ، وعلب أدوات التجميل ، التى جمع مجموعة كبيرة منها ...

وعندما بدا حفل العشاء الذى أقامه «فاروق» لضيفه، حرص « تشرشل » على التأكد من عدم ضياع موعد هام كان مرتبطا به من قبل ، فدس يده فى جيبه ليخرج ساعته كى يضعها أمامه ، لكنه مالبث ان ظهرت علامات الغضب والعصبية

على وجهه ، اذ كان على دراية تامة بهواية « فاروق » السيئة ، وهوسه بسرقة الساعات وجمعها ، وكان متأكداً من أن الملك قد سرق ساعته .

وقال « تشرشل » لـ «فاروق» بلهجة التهديد :

« ياصاحب الجلالة ، أن الساعة المشهورة التى أهدتهـــا الملكة « آن » لجدى الاكبر دوق « مارلبورو » ، بعد الانتصار العظيم الذى حققه فى معركة « بلتهايم » ، قد اختفت تماما ، واننى أود أن تعودالى بأسرع مايمكن » . ثم أعلن « تشرشل » انه لن يغادر القصر الا اذا أعيدت الساعة اليه ..

فانكر « فاروق » انه أخذ الساعة ، وقال :

● « متى شاهدتها لآخر مرة ؟ »

ـ « منذ أقل من ساعة . »

● « ومع من كنت قبل ذلك ؟ »

ـ « لقد كنت فى اجتماع مع مجلس وزرائك . »

● « اذن فالباشا هو الذى اخذها . »

وضحك « فاروق » ، وكان يشير الى أحد المسئولين فى القصر كان مولعا بالسرقة كذلك . وغادر « فاروق » القاعة ، ثم عاد بعد عشر دقائق والساعة معه .

وقال له « تشرشل »

« وماذا قال لك الباشا عندما سألته عنها ؟ »

فقهقه « فاروق » وقال :

« أنه لم يعرف بعد أننى قد أخذتها منه !! »

وأقر رئيس الوزراء رواية الملك ..

لكن هل يوجد أى فرد آخر ، غير « تشرشل » ، قد شاهد ساعته مرة أخرى ، بعد أن تمت سرقتها ؟

أعتقد لا ..

الجزء الخامس

كاميليا والملك

ملك مسلم .. وممثلة يهودية ..من بين كل علاقات « فاروق » مع النساء الكثيرات ، كانت علاقته هذه أكثرها اثارة للأزمات وسوء السمعة بالنسبة له .

فى السنوات الاولى بعد الحرب العالمية الثانية ، كانت بشائر انهيار « فاروق » وأفوله قد القت ظلالها على حياته بالفعل .. على شخصيته المتصدعة ، وعلى مجموعة القصر التى كانت تستغل ضعفه ، وعلى حياته الخاصة المتدهورة ، وبدا ذلك واضحا فى ازدياد معارضة الصحف له .

وفى منتصف فبراير سنة ١٩٤٧ ، فقد « فاروق » الرجل الوحيد الذى كان سندا له ، والذى كانت لديه القدرة على تخليص « فاروق » من حماقاته ومن ضعفه .. انه « أحمد محمد حسنين » ، ياوره ومستشاره منذ طفولته ، والذى قتل عندما اصطدمت سيارته بلورى بريطانى .

وبرز فى ذلك الوقت ، من بين مستشاريه الخاصين ، شخصية جديدة كان لهـا دور فى حياته ... اللبنانى الماكر « كريم ثابت » ، الذى كان المستشار الصحفى للملك ، الا انه كان بمثابة مهرج الملك ، ومساعد « فاروق » فى مشروعات خاصة كثيرة .

وقد اثارت احدى مغامراته دويا عالميا افقد « فاروق » كثيرا من هيبته .

بطلة هذه المغامرة فتاة يهودية اسمها « ليليان كوهين » بدأت حياتها فى أحد أحياء الاسكندرية الفقيرة . وفى صيف سنة ١٩٤٦ شاهدها منتج سينمائى مصرى مصادفة فى أحد مقاهى المدينة ، فعرض عليها عقدا للعمل بالسينما ، على شرط أن تصبح خليلته .

وكان هذا العرض بالنسبة لفتاة فقيرة معدمة ، مغريا لدرجة لايمكنها معه رفضه ، فوافقت على الفور . واقدم المنتج على تغيير اسمها واطلق عليها اسم « كاميليا » ، اذ لم يكن أى فرد فى مصر يقبل ان يدفع ثمن تذكرة ليشاهد ممثلة يهودية .

الا أن هذا المنتج مالبث أن وقع فى خطأ ما ، اذ صحبها

معه يوما الى سهرة فى أوبرج الأهرام ليتباهى بها أمام الملك « فاروق » الذى كان المنتج يكن له كراهية كبيرة ، واختار منضدة قريبة من منضدة الملك ــ الذى كان فى ذلك الوقت يجلس بجوار « كريم ثابت » ــ وتظاهر انه يتجاهل الفتاة الجميلة ذات الشعر الأسود الطويل .

لكن ، عندما غادر المنتج و« كاميليا » النادى الليلى فى تلك الليلة ، امر « كريم ثابت » أحد أعوانه بأن يتعقبها الى منزلها ، وينتظر هناك حتى يتمكن من التحدث مع الفتاة على انفراد ..

وعندما حانت له الفرصة ، وجه مبعوث « كريم ثابت » هذا السؤال الى الفتاة دون مقدمات : هل تحب أن يقدمها الى الملك « فاروق » فى قصر عابدين ؟ .. ولم تصدق « كاميليا » يومها ماسمعته .. لقد واتاها الحظ أخيرا فجأة من أوسع الأبواب .. كانت يومها فى السادسة عشرة من عمرها .

فى عابدين .. كان اللقاء

لقد افتتن « فاروق » بها .. وفى احدى غرف قصر عابدين ، كان لقاؤهما الأول .. وغنت له « كاميليا » بعض الأغانى اليهودية ، ورقصت له ، وكانت تضحك وتبكى فى وقت واحد ..

ولكى ترضيه وتحظى بثقته ، تظاهرت « كاميليا » أمامه بأنه كان يعلمها حيل الحب ، بينما كانت هى التى تقوم بهذا الدور فى الواقع ، فأمتعته وأنسته عجزه .

وكانت « كاميليا » ، احدى النساء القليلات اللائى أمكنهن ، ولو مؤقتا ، ازالة احساس الملك بعجزه مما مكنه هو من التغلب لفترة على هذا العجز .. وتطورت بين هذه الفتاة اليهودية المتشردة ، وبين ملك مصر عاطفة غير عادية ، وتعلق بها مثلما لم يتعلق بأية امرأة غيرها من قبل .

واخبرها « فاروق » بأنه قد اكتشف فيها شيئا ما غريبا وغامضا ، لم يلحظه في اية امراة اخرى ، وهو كلام أثار النشوة فيها ، مما جعلها تتمادى في اغرائه .. لكن : ما أدراها بأنه استخدم نفس ذلك الكلام المعسول أكثر من مائة مرة من قبل ؟!!

وكان « فاروق » يومها يود بأن يقوم بأول رحلة له خارج مصر ، وأراد أن تذهب معه ، وسألها : هل هناك مكان رومانتيكي ترغب في زيارته ؟ ..

فقالت « كاميليا » ان أسرتها لها منزل في جزيرة قبرص ـ وكان الأمر كذلك ، لكنه كان كوخا في الواقع ـ وقالت ان الجزيرة بالغة الجمال والروعة . وتساءلت عما اذا كان يمكنها الذهاب الى هناك ؟ .. فوعدها الملك بأنه سوف يحقق لها رغبتها عما قريب .

وفي الخريف ، أمر «فاروق» خادمه الايطالي « بوللي » فجأة ، بأن يعد اليخت الملكي « فخر البحار » للقيام برحلة في البحر المتوسط ، واختار دستة من أصدقائه الذين يعرفون علاقته مع « كاميليا » ، ولم يذكر شيئا عن الرحلة لمجلس وزرائه .

وكان من غير الملائم على الاطلاق أن يختفي « فاروق » بعيدا عن بلاده ، في رحلة للمتعة الخاصة ، في تلك اللحظة بالذات ، اذ كانت المفاوضات بين بريطانيا ومصر حول تعديل المعاهدة المصرية الانجليزية ، وجلاء القوات البريطانية من قواعدها في مصر ، تمر في أكثر مراحلها حسما ، وكان مجلس الوزراء المصري برئاسة «اسماعيل صدقي » يرغب فيالاقرار على تعهد بريطاني بجلاء عاجل للقوات البريطانية من المدن المصرية وانسحاب كلي من منطقة قناة السويس في سنة ١٩٤٩ .

وكان « اسماعيل صدقى » ، رئيس الوزراء ، يحاول كذلك ادخال وزراء جدد من الجماعات البرلمانية المعتدلة فى حكومته وهو ماكان يحتم على « فاروق » أن يكون على اتصال دائم بمجلس وزرائه .

لكن « فاروق » ضرب بكل هذه الاعتبارات عرض الحائط ، وحتى يتفادى انكشاف أمره ، لم يصحب «كاميليا» معه فى يخته ، لكنه بعث بها بطائرة الى قبرص قبله .

الا انه مع كل الاحتياطات التى اتخذت بدقة بالغة ، فقد قدر للرحلة أن تتحول الى كارثة . إذ كان «فاروق» مخطئا فى اعتقاده بأنه سوف يمكنه قضاء بعض الوقت مع « كاميليا» فى جزيرة قبرص ، دون ان يلحظه أحد ، وأن أحدا لن يكشف أمر وجوده .

لكنه كان واهما فى ذلك ، اذ ما ان رسا اليخت الملكى خارج ميناء « فاماجوستا » ، الا وكان أميرال البحر البريطانى قد اثار وجود اليخت الملكى المصرى فى الميناء القبرصى انتباهه ، فسعى الى لقاء الملك ، ودعاه الى العشاء ، كما تلقى « فاروق » كذلك دعوة للعشاء من سير « شارل وولى» حاكم الجزيرة

وفكر « فاروق » كذلــك فى أن « يمسرح» تعرفه علــى « كاميليا » ، حتى لايخمن أحد بالهدف الحقيقى لرحلتــه . وبعد حفل عشاء أقيم بأحد فنادق نيقوسيا ، تم تقديمها اليه ، فانحنت له احتراما ، ووصفت له عملها فى السينما ، واستقبلها الملك بعد ذلك ، وتحدث باطراء عن صناعة السينما المصرية ، وعن نجمتها الساحرة . وبعد عرضهما المثير للســخرية بعــدة دقائق ، كان « فاروق » و « كاميليــا » يسرعان الى فنــدق وناد ليلى فى أحد التلال المحيطة بنيقوسيا .

وفى لحظات خلوته معها ، وعدها « فاروق » بأن يشترى لها منزلا فى الجزيرة ، حيث يلتقى بها مرة كل عام على الأقل ،

كما وعدها بانه سوف يصحبها معه في رحلته القادمة الى أوروبا لكن المتاعب كانت ، في الواقع ، في انتظاره .

الاشاعات

وبعد وصول « فاروق » الى قبرص بعدة أيام ، بعثت احدى وكالات الانباء في الجزيرة ببرقية تحتوى على قصة لقاءالملك « فاروق » بممثلة مصرية اسمها « ليليان كوهين » ، والتقطت احدى صحف القاهرة هذه القصة ونشرتها في مكان بارز .

وقرأت زوجة « فاروق » ، الملكة « فريدة » القصة ، وكان عيد ميلادها يقع في نفس ذلك الأسبوع الذى وردت فيه أنباء لقاء « فاروق » مع « كاميليا » ، فقالت بغضب :

« هذه هي هدية « فاروق » لي بمناسبة عيد ميلادى » !!

وفي قبرص ، تلقى «فاروق» برقية من القصر تفيدهبأن لقاءه مع « كاميليا » قد اثار اشاعات كثيرة . ووردت بعدها برقيات كثيرة تفيد بحدوث أزمة وزارية حادة .

لقد انتهى كل مشروع

واتضحت عواقب مغامرته الطائشة امام ناظريه ، لكن في وقت متأخر ، فأصابته حالة من الفزع والغضب،واتهم «فاروق» « كاميليا » بأنها هي التى افشت سر علاقتهما ، وأنهـا تحدثت عنها مع آخرين ، وأنها كشفت النقاب عن موعد لقائهما . وصاح في وجهها قائلا : « لماذا تحدثت عن ذلك للآخرين ؟ »

فأجابته « كاميليا » :

« انني لم اذكر شيئا لأى أحد يامولاى ، حتى والدتى لاتعرف اي شيء عن ذلك ، كما انها لا تعرف بأمر وجودى هنا معك . »

فصاح « فاروق » :

« لقد انتهى كل شيء بيني وبينك ، لقد اردت ان ارفعك الى المستوى الملكى ، لكنك لست صالحة لذلك على الاطلاق » !

الفراق الاول

وفى صباح اليوم التالى ، طرق أحد المسئولين فى الفندق باب حجرة « كاميليا » ، وسلمها مذكرة بلا توقيع ، كتب فيها :

« لقد اضطررت للرحيل » . وبداخل المظروف وجدت خمسين جنيها .. وقد جعلها هذا التعويض الهزيل أكثر غضبا مما سببه لها الرحيل المفاجىء للملك ، اذ كانت قد انفقت حوالى الف جنيه لشراء فساتين واحذية ، وكان هذا هو كل مامعها تقريبا ، فانطلقت مذعورة الى الميناء ، لتعلم أن « فخر البحار » قد ابحر عند الفجر ، اى قبل وصول الرسالة اليها بوقت طويل .

وكان « فاروق » قد قرر عدم البقاء في قبرص يوما آخر ، لكنه لم يكن قد تأهب بعد لمواجهة العاصفة المدوية فى مصر ، فاتجه رأسا الى الساحل الجنوبى لتركيا ، ورسا « فخر البحار » فى ميناء مرسين .

واثارت رؤية اليخت الملكى المصرى ضجة واضطرابا مرة اخرى ، وطار المسئولون المتحيرون من انقرة لتحية الملك . . وفى لندن تساءل المسئولون فى وزارة الخارجية عما كان يفعله ملك مصر هناك ، ووصلت التخمينات فى كل من لندن وواشنطن الى حد تصور قرب عقد تحالف بين مصر وتركيا .

وابرقت الحكومة المصرية الى الملك ، تلتمس منه العودة الى الاسكندرية ، لكنه مزق البرقيات وظل باقيا فى « مرسين » .

الا أن برقية واحدة عجز عن تجاهلهـــا كانت واردة مـــن « كاميليا » ، التى كانت لاتزال موجودة فى جزيرة قبرص ، وقالت فيها :

« سوف أنتحر اذا لم تعد . »

العودة الأولى

ولخوفه من امكان تنفيذ تهديدها ، ومن ثم تثير فضـــيحة جديدة ، أبحر « فاروق » مرة أخرى الى قبرص ، ليجـــد « كاميليا » غاضبة وثائرة بسبب معاملته لها ، وقالت له بمرارة: « هل أستحق فى نظرك خمسين جنيها فقط ؟!! »

فهدأها واسترضاها ، بأن قال لها ان ذلك المبلغ كان مكافأة لها لعثورها على خاتمه الثمين الذى كان قد فقده فى حمامه وأعادته هى اليه ، وعرض عليها ، كعزاء ، أن يشترى لها منزلا فى قبرص . وأمضيا معا عدة أيام فى جبال ترودوس ، واختار لها فيللا .

وفى القاهرة ، كانت الأزمة الوزارية قد بلغت ذروتها فى ذلك الوقت الى حد اصرار رئيس الوزراء « اسماعيـــــل صدقى » على وجوب رؤيته للملك ، ووافق «فاروق» على مقابلته هو ووزير آخر فى جزيرة « رودوس » ، واستقبلهما على ظهر يخته .

الا أن أحدا منهما لم يلحظ أن اليخت كان به ضيف فوق العادة .. « كاميليا » ، الممثلة التى اثارت دويا دوليا .

وعلى ظهر اليخت ، دار نقاش طويل بين الملك « فاروق » ورئيس الوزراء المصرى والوزير ، انتهت باقتناع « فاروق » بالعودة الى مصر .

وبعد هذه المغامرة الطائشة ، افترق « فاروق » و « كاميليا »

لمدة عام .. وعادت « كاميليا » الى مصر ، وعاشت فى القاهرة والاسكندرية .

امراة اخرى .. ولكن

وتركزت اهتمامات « فاروق » ، فى ذلك الوقت ، على الأميرة « فاطمة » ، الارملة الشابة الجميلة للأمير « عمرطوسون» الرجل الذى كان أكبر منها سنا ، والذى توفى فى حـــادث اصطدام سيارة .

وكان « فاروق » يغرى « فاطمة » بهدايا ثمينـــة ووافـــرة عندما كان زوجها لايزال حيا . وعندما توفى زوجهـــا ، كان « فاروق » واثقا ـ فى حالة موافقة مجلس وزرائه على طلاقه من زوجته « فريدة » ـ بان « فاطمـــة » سوف توافق بلهفة على عرضه لها بأن تصبح ملكة مصر .

لكن الشاب الوسيم الرشيق الذى كانت قد قابلته منذ أربع سنوات ، اصبح ضخم الجثة ، وكانت تمقت زمرة رفاقه الذين كانوا يسهرون معه كل ليلة فى النوادى والملاهى الليلية .

وقالت « فاطمة » لـ « فاروق » :

« ان كرامتى تمنعنى من الجلوس مع هؤلاء القوم »

فرد « فاروق » عليها قائلا :

« لماذا ..! سوف تصبحين ملكة مصر . »

ـ « ومافائدة ان اصبح ملـــكة بدون ملك .. ان « بوللى» وأولئك القوم هم الملك الحقيقى ، وأنت خادمهم » !!

الحنين اليها ..

وفى منتصف عام ١٩٤٧ ، شعر « فاروق » بحنين مفـــاجىء تجاه « كاميليا » ، فاتصل بها تليفونيا .

ولما لم يكن اى احد مهتما بالخليلة السابقة للملك .. فقد عاشت « كاميليا » حياة عزلة في شقتها المتواضعة ، منـــذ افتراقها عن « فاروق » . وكان قوتها الأساسي هوالفول والخبز .. وفي الليلة التي دق فيها جرس التليفون ، كانت قد آوت الى فراشها مبكرا هربا من الجوع .

وقال صوت على الطرف الآخر من الخط :

« انا فاروق » .. ودعاها الى قصر عابدين ، فرفضت في اول الأمر ، لكنها مالبثت أن وافقت بعد الحاح منه . وعندما وصلت الى القصر ، كان الملك في انتظارها وقد ارتدى عبـاءة عربية حمراء ، وكان «فاروق» قد انتهى من تناول عشائه لتوه، وظل ليلتها يحدثها كلاما معسولا ، وهي في حالة ذهول وسرحان فظن انها لاتزال متأثرة من معاملته لها في جزيرة قبرص ، فقال لها انه يجب عليها أن تنسى الماضي ، وأن تبدأ معه عهدا جديدا ، ووعدها بأنه سوف يعوضها عما فاتها في الفترة الماضية ، كمـا وعدها بأنه سوف يشتري لها فساتين واحذية جديدة، وغادر الحجرة كي يبحث لها عن عدد من مجلات الموضة ...

وما أن غادر « فاروق » الحجرة ، حتى انقضت « كاميليا » على ماتبقى من طعامه تلتهمه التهاما ، وعندما عاد وشاهدها على هذه الحالة سألها :

« لماذا لم تخبريني انك لم تتناولي عشاءك بعد ؟ »

عندئذ أخبرته بقصتها كاملة ، وماحدث لها منذ فراقهما ، وكيف عاشت طوال تلك الفترة بلا عمل وبلا مال ، فأعطاها مائة جنيه ، كانت آخر هدية منه لها .

الفراق الثاني

ودامت اللقاءات بينهما عدة أشهر ، ثم افترقا مرة أخـرى

عندما اتهمها بأنها تنشر الاشاعات عن علاقتهما ، وكان محقـا في شكوكه الى حد ما هذه المرة ، وبدا انفصالهما نهائيـا ، الى ان اكتشف «فاروق» انه قد تمت خطبتهـا الى أحـد المصورين ..

وعادت « كاميليا » فى احدى الليالى من سينما مترو لتجد سيارة القصر الرولزرويس ، واقفة أمام العمارة التى تقـع فيها شقتها المتواضعة . لقد بعث لها الملك بعرض اسـتعطافى مع « بوللى » : سلة من البرتقال . ورفضت « كاميليا » أن ترد على طلباته التليفونية عدة مرات ، لكنها مالبثت أن رضخت ووافقت على الالتقاء به .

وكان لقاء عاصفا عصبيا .. وصرخ « فاروق » فى وجهها قائلا :

« هل تهربين مني ؟ .. ومن هو ذلك الرجل الذى سـوف يأخذك منى ؟ .. انني اود ان أعرف اسم ذلك الرجل الذى يسرق مني صديقتى ؟ »

ــ « انه الرجل الذى سوف اتزوجه »

فعاد يصيح فى وجهها :

« يالك من غبية .. ماهو الأفضل : أن تصبحى صديقة الملك ام زوجة لرجل تافه ؟ »

ــ « زوجة لرجل تافه »

ومع ذلك ، فقد داومت « كاميليا » على الالتقاء به ، على الرغم من أنها لم تكن تعول على ذلك كثيرا .

العاصفة تقترب

ومع اقتراب عام ١٩٤٧ من نهايته ، بدأ الصدام حـول فلسطين يثير أزمة دولية .. وكانت فلسطين فى ذلك الوقت

خاضعة للانتداب البريطاني الذى بدأ فى عام ١٩٢٣ بناء على قرار من عصبة الأمم أولا ، ثم من الأمم المتحدة بعد ذلك .

وكانت مهمة شاقة ، اذ ان أكثر من مائة وسبعة وعشرين جنديا وضابطا بريطانيا قتلوا على يد الارهابيين الصهاينة .

وفى حالة من اليأس ، قامت بريطانيا بعرض المشكلة على الأمم المتحدة من جديد ، وبحثت المنظمة الدولية مشروعا بتقسيم فلسطين الى قطاعين : أحدهماللعرب ، والآخر لليهود . ولكن قبل أن تصل الأمم المتحدة الى قرار نهائى فى هذا الشأن ، قررت بريطانيا انهاء انتدابها على فلسطين والانسحاب منها كلية فى ربيع عام ١٩٤٩ .

فتصور الصهاينة أن ذلك التصرف البريطاني دعوة للعرب كى يلقوا بهم فى البحر المتوسط . وتصور العرب التصرف البريطانى حركة لاضعافهم بدفع الصهاينةالى شن حرب ضدهم .

وأصبح الصدام العسكرى بين العرب والصهاينة امرا محتوما لا مفر منه ، وأصبحت القاهرة مركز الاستعدادات الحربية للعرب ولدعاياتهم ، وامتلأت القاهرة المزدحمة بشعارات معادية للصهاينة ، فكانت حرب فلسطين .

وحتى قبل انتهاء الانتداب البريطانى فى فلسطين ، قام الفدائيون العرب الذين سلحهم الجيش المصرى وشجعهم ، بمهاجمة الصهاينة فى فلسطين ، وحقق المقاتلون العرب بعض الانتصارات ، مما أقنع « فاروق » أن لاشىء فى فلسطين يمكنه مقاومة جيشه اذا مادخل المعركة . لذلك أعلن دخول مصر للحرب رسميا فى ١٣ من مايو سنة ١٩٤٨ ، واشتركت قواته فى الحرب بصورة فعلية يوم ١٥ من مايو .

ولكى يرفع معنوياتهم ، قام «فاروق » بنفسه باستعراض قواته قبل ان تنطلق الى سيناء .

وفى قاعة البكاراه بنادى السيارات ، كان « فاروق » يقول لمرافقيه واعوانه بخيلاء :

« احضروا لى أعدائى اليهود حتى يمكننى اخذ أموالهم» !

الا أن العكس تماما هو الذى كان يحدث ، اذ أن كثيرين من رجال المصارف ورجال الأعمال اليهود كثيرا ما ازدادوا غنى وثراء على حساب « فاروق » .

مشكلة خاصة

الا أن الحرب اثارت مشكلة خاصة صغيرة : كانت تتعلق بـ « كاميليا » ، أو «ليليان كوهين» ، التى لجأت الى «فاروق» لتخبره أن السلطات المصرية فى سبيلها الى القاء القبض عليها كيهودية تعمل لصالح العدو .. وسألته عما اذا كان بمكنه مساعدتها للعثور على شاليه ساحلى فى الاسكندرية تختفى فيه .. فما كان من « فاروق » الا أن طرد أحد وزرائه من شاليهه فى الاسكندرية ، واسكن « كاميليا » فيه بدلا منه ، ومن ثم كان فى مقدوره أن يزورها سرا أثناء القتال .

وبدا فى أول الأمر كما لو أن القوات المصرية ــ فرقتان مكونتان من حوالى عشرة آلاف جندى مسلحين بالدبابات والمدافع والرشاشات ــ سوف تكتسح فلسطين .

وقد احتلوا « غزة » بسهولة ، بينما كانت القوات الجوية التى اشتهرت بانها أفضل قوة جوية فى الشرق الأوسط تقصف « تل أبيب » . واندفعت احدى الفرقتين المصريتين للاستيلاء على « تل أبيب » ، فى حين اندفعت الفرقة الأخرى تجاه «بير سبع » و « الخليل » ، كى تلتقى بالقوات العربية الاخرى القادمة من الاردن وتحتل القدس .

وفى الوقت نفسه ، كانت القوات السورية والعراقية قد

اندفعت عبر الحدود حول بحر « الجليل » لاحتلال « حيفا » .. وأصبحت كل قرية فى الطريق الى « تل ابيب» ميدان قتال

ونتيجة للارهاق الذى لحق بالجانبين ، فقد وافق العرب واليهود على هدنة أعلنتها الامم المتحدة بعد سبعة وعشرين يوما من القتال .

وتطورت الهدنة الى سباق من أجل الحصول على أسلحة حديثة . واتجه اليهود الى « التشيك » ليشتروا منهم فائض أسلحة الحرب ، بينما طاف رجال « فاروق » ايطاليا بحثا عن المدافع والرشاشات . وفاوض رجال « فاروق » الأتراك واليونانيين والنازيين السابقين لاعادة بناء قوات الملك المتصدعة

واختار « فاروق » فرصة مناسبة لزيارة جبهة القتال ، وتجول بين مواقع المدافع ومراكز قيادات الوحدات والفرق وقد ارتدى زيا عسكريا .

وفى ٨ من يونيو ، قبل أن تلفظ الهدنة أنفاسها الاخيرة بيوم واحد ، شن العرب هجوما آخرا ، لكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من اليهود .

واحتل اليهود مطار « اللد » الواقع بين « تل أبيب » و « القدس » ، وهاجموا القوات السورية فى « الناصرة » ، وانطلقوا لمساعدة قواتهم المحاصرة فى « القدس » ، ثم اتجهوا جنوبا لمواجهة القوات المصرية المتقدمة .

وطلبت الدول العربية عقد هدنة اخرى ، لان خمسة عشر الف جندى مصرى كانوا لايزالون محاصرين من كل جانب بالقرب من غزة فى « الفالوجا » .

فكيف أمكن لـ « فاروق » تفسير تلك الكوارث لشعبه ؟ ..

رجل واحد جعل من امكانية الاعتراف والتسليم بالهزيمة أمرا مستحيلا .. انه « كريم ثابت » .

اذ أن الحرب كانت قد فتحت مجالات لا حدود لها لموهبته الشريرة . ولم يكن تصوره لمسار القتال يتطابق فى ذلك الوقت مع الواقع ، وصور احتلال غزة انتصـــــارا بطوليا ، وكل « كيبوتز » كانت قد سقطت فى الطريق الى « القدس » توحى بقصيدة شعرية متقدة .

ومن الذى خطط بمهارة لكل انتصار عسكرى ؟.. انه جلالة مليكه المهيب « فاروق » .

وقد أوقع « كريم ثابت » نفسه فى مأزق حاد وشائك .. لأنه باعطائه كل الفخر والمجد للملك بسبب الانتصارات المفترضة ، لم يكن فى امكانه توجيه اللوم لأى فرد آخر بسبب الكارثة .

وشعر الملك « فاروق » بالمهانة ، خاصة عندما احتشـــدت الجماهير وهتفت ضده عندما كان يغادر سينما مترو فى احدى الليالى .

وعلى الرغم من أن الصحف المصرية كانت تنشر صوره وهو يرتدى الزى العسكرى ، الا أن الناس بدأوا يهمسون كثـيرا حول زياراته للأندية الليلية ومغامراته ، وخليلاته ، وعربدته .

وحاول عضو صغير فى بطانته اقناعه بالتخلى عن حيـــاته ومغامراته الليلية ، فى وقت كانت البلاد تمر فيه بحالة توتر عنيف ، لكن « فاروق » ضرب عرض الحائط بنصائحه ، ولم يعرها أى اهتمام ..

الحقيقة عارية

وفى ذلك الوقت ، دار نقاش صريح بين الملك « فاروق » ورئيس وزرائه « النقراشى » حول علاقاته مع « كاميليا » ، وعن مغامراته ..

اذ توجه « النقراشى » يوما الى الملك « فاروق » وقال له :

« لقد نما إلى علمى ان عددا من النساء اللائى تلتقى بهـن جواسيس ، وأن اليهود يحصلون على معلومات منهـن ، كما علمت ان هناك علاقة حب بينك وبين فتاة يهودية » .

فرد « فاروق » عليه بحدة قائلا :

« هراء فى هراء .. لا تصدق هذه القصة ، لقد كان لى بالفعل علاقة مع فتاة يهودية ، لكننى تركتها ، وقطعت علاقتى بها كلية » .

ـ « ان فى امكان اليهود استخدام هذه الفتاة لاغتيالك »

فهز « فاروق » كتفيه وقال :

« ان حياتى من شئونى الخاصة . »

فاجابه « النقراشى » قائلا :

« لا ، ان حياتك لم تعد من شئونك الخاصة ، ان اليهـود أعداؤنا ، والشعب يلاحظ انك تقامر مع اليهود فـى نـادى السيارات الملكى ، وأصبح الشعب يتساءل : كيف يمكن للملك ان يلعب القمار مع أعداء البلاد ؟ »

فما كان من « فاروق » الا أن أجابه قائلا :

« اننى العب القمار معهم كى أحصل على أموالهم ، أنهـم يخسرون ، وأنا أفوز ، وبهذه الطريقة أجمع أموالهم »

ـ « اذا خسروا ، فان هذا كفيل بأن يجعلك تشـعر بأنهم أصدقاء مصر .. ومسألة أخرى ، ان هذه دولة اسلامية ، وأولئك الذين تلعب القمار معهم أعداء للاسلام » .

● « اننى لا أقامر فى الشوارع »

ـ « لا . لكنه يوجد أعضاء كثيرون فى النادى . ونزلاء وخدم كثيرون ، ولابد أنهم يعودون الى منازلهم ويخبرون زوجاتهـم واصدقاءهم بأن الملك يلعب القمار »

وعند تلك اللحظة ، اعتقد « النقراشي » أن الملك ســـوف يضربه ، اذ توردت وجنتـــا « فاروق » ، وهجم على رئيس وزرائه ، وقال له بصوت أقرب الى الصراخ :

« اذا كان كل شيء افعله سوف يتعـــارض مع حيـــاتي الخاصة ، عندئذ لا أريد العـرش . . انني لست أدري لمـاذا قدمت الي بالاشاعات التى تتردد في الشوارع » .

فقال « النقراشي » :

« ان تلك الشوارع تكون الأمة . . الشعب ، وعندما تخسر الشعب ، فلا شيء يتبقى لك . »

ابطال الفالوجا

وفى شهر اكتوبر ، نقضت الهدنة ، وكانت الأنباء الواردة من الجبهة كئيبة . ولم يكن في مقدور أحد ، حتى « كـريم ثابت » ، استخدام الصحافة والاذاعة لتحويل تلك الهـزائم الى انتصارات .

وكان جزء كبير من الفرقة المصرية الأولى لا يزال محـــاصرا من كل جانب فيجيب يبعد اثنيعشر ميلا من« غزة»،أطلقعليه « الفالوجا » ، على اسم احدى القرى الموجودة فى منطقـة الحصار ، واصبح هؤلاء الجنود والضباط المحاصرون ابطـالا فى القاهرة ، وساعدت مقاومتهم وموقفهـــم المتصلب على التعويض عن الخزى والعار الذى نتج عن رؤية آلاف الجنود من مختلف القوات وهى تنسحب من فلسطين .

وقد حدثت حالة من الارتباك والفوضى التامة بين القـوات العربية ، وبدت هزيمتهم النهائية واضحة فى الافق ، وبدا أن القوات اليهودية سوف تتقدم عبر الصحراء الى قناة السويس

لكن اليهود المتقدمين كانوا قد نسوا أن مصر كانت تربطهـا



رئيس الوزراء « محمود فهمي النقراشي » باشا يقلب بعض التقارير السرية التي تلقاها من رجال البوليس عن مغامرات الملك « فاروق » الليلية . . .

معاهدة دفاع مع بريطانيا ، وهى دولة كانت شديدة الحساسية بشأن قناة السويس .

وفى آخر يوم من عام ١٩٤٨ ، وصلت برقيــــة من وزارة الخارجية الأمريكية الى « جيمس جوفر ماكدونالد » ، السفير الامريكى لدى اسرائيل ، تتضمن تعليمات بأن يسلم الى رئيس وزراء اسرائيل « ديفيد بن جوريون » انذارا بانه اذا لم تنسحب قواته من سيناء فورا ، فان بريطانيا سوف تدخـل الحرب الى جانب المصريين .

وقد سعت بريطانيا الى طلب مساعدة الولايات المتحـــدة كى تبلغ وجهة نظرها الى اسرائيل بطريقة غير رسمية ، وبهذا تفادى البريطانيون تبادل المذكرات الدبلوماسية بصورة علنية، مما كان سيؤدى الى صدام ..

واغضب الانذار « بن جوريون » ، لكن « ماكدونالد » أكد ان البريطانيين يعنون حقـــا ماقالوه ... واخـــيرا قال « بن جوريون » :

« حسنا ، اننا عاجزون حقـا عن مواجهـــة الامبراطورية البريطانية .. ولن يكون هناك اى جندى اسرائيلى على الأرض المصرية خلال ٤٨ ساعة . »

وبهذا انتهت حرب فلسطين . وفى ٢٤ من فبراير ســـنة ١٩٤٩ ، وبعد توقيع هدنة « رودس » ، أصبح على مصر اقرار الانسحاب المخزى لقواتها ، وكانت قد خسرت كل شىء كسبته من هيبة بين العرب ، وخرجت من مغامرتهـــا هذه لتواجـه مشاكل داخلية رهيبة .

الطلاق من فريدة

وكان «فاروق» ، وسط اخفاقه الحاد فى فلسطين ، قـد

قرر نهائيا الطلاق من الملكة « فريدة » ، واقدم على ذلك بالفعل بأن طلقها ثلاثا ، ثم وقع وثيقة الطلاق .

وما أن انتهت المراسم ، حتى كان « فاروق » قد اختفى تماما ... وبعد عدة ساعات ، عثرت عليه شـقيقتاه « فوزية » و « فايزة » ، قابعا فى احدى حجرات القصر وهو يبـكى وينوح مثل طفل .. لقد كان يحب « فريدة » بصـدق فى الواقع ، واعتقد البعض أن حبه لها لم يمت تماما .

وتصور كثيرون من المتصلين بالبلاط الملكى أن « فاروق » سوف يتزوج من الاميرة « فاطمة طوسون » . لكن « فاطمـة » كانت قد وقعت فى حب شخص آخر .

فقى احدى الحفلات المقامة فى السفارة البرازيلية بالقاهرة التقت ذات مساء بالأمير « دوم جـوان » ، من أسـرة « براجانزا » ، سليلة احدى العائلات القديمة التى حـكمت البرازيل ، عندما كان فى القاهرة بصفة عابرة .

الصدمة الأولى

وبعد ٣٨ ساعة من ذلك اللقاء الأول بينهما ، طار « دوم جوان » ، الذى كان يعمل مديرا لشركة طيران برازيلية ، عائدا الى القاهرة ليتصل بها تليفونيا ويطلب منها الزواج منه ، فقالت له « نعم » على الفور ، ثم بدأت تعد نفسها لمغادرة مصر .

وقد تم كلّ ذلك بدون علم « فاروق » . وعنـدما علم أنها ستقوم برحلة الى أوروبا ، لم يشك فى شيء ، وودعهـا ، ورحلت « فاطمة » لتلتقى بـ « دوم جوان » فى أوروبا .

وبعد عدة أسابيع نما الى علم « فاروق» انها قـد خطبت للنبيل البرازيلى ، فجن جنونه ، وغضب غضبا شديدا .

وصمم « فاروق » على الحيلولة دون اتمام هذا الزواج ،

وبعث بموفدين من قبله الى « فاطمة » ، يخبرها بأن في امكانها أن تصبح ملكة مصر اذا رجعت ، وهددها بأن كل ألقابها سوف تلغى ، وان كل أملاكها ستتم مصادرتها اذا مارفضت العودة.

وقاومت « فاطمة » كل الالتماسات والتهديدات ، وفي يوم زواجها من « دوم جوان » ، لم يتجرأ احد على الاقتراب من الملك «فاروق » .. حتى خادمه المقرب اليه « بوللي » ..

وبعد هذه الصدمة ، أعطى « فاروق » الانطباع بانه سوف يتنازل في الغالب عن دوره كملك ، وتخلى بالفعل عن كل مهامه ، وتكدست الاوراق والتقارير على مكتبه ، واصبح يمضي معظم وقته بين مائدة القمار في نادي السيارات ، وبين عدد من الملاهي الليلية .

وكانت هناك حالة متزايدة من الفقر والبؤس تعصف بالبلاد ... لكن « فاروق » كان في واد آخر ..

وفي ذلك الوقت بالذات ، أصيب « فاروق » بصدمة شخصية عنيفة أخرى : لقد ماتت « كاميليا » ، خليلته المفضلة وكانت وفاتها النتيجة غير المباشرة لاقدام «فاروق» على الاعداد للقيام برحلة أخرى معها الى الخارج .

الصدمة الثانية والأخيرة

ففي نهاية صيف عام ١٩٥٠ ، قرر « فاروق » القيام بأول رحلة له الى أوروبا بعد الحرب . وقد اتخذت الاجراءات ليلتقي بـ « كاميليا » سرا في « ديوفيل » بفرنسا .

ونزل « فاروق » في « مارسيليا » ، وأمضى الجزء الاول من عطلته في « الكوت دازور » .. وكانت أوروبا لا تزال تعيش حياة تقشف مابعد الحرب العالمية الثانية ، فكان محتما أن تحتل أخبار اسراف « فاروق » البشع وانغماسه في الملذات ليل



الممثلة « ليليان كوهين » المعروفة باسم « كاميليا » التي هام بها « فاروق » حباً وكانت علاقته بها احدى النقاط السوداء الكثيرة في تاريخه .

نهار العناوين الرئيسية فى الصحف العالمية .

واتخذت مغامراته ومقامراته مجالا واسعا للغاية ، اذ كان فى ذلك الوقت يدفع آلاف الجنيهات على موائد القمار ، وعندما كان يعجز عن متابعة مقامراته ، كان يشغل أفراد حاشيته بالتنقل بين موائد القمار المختلفة ، وخسر فى ليلة واحدة فقط مبلغ خمسة وخمسين ألف جنيه فى كازينو « ديوفيل » .

وكان فى ذلك الوقت يتطلع بشغف الى لقائه مع « كاميليا » وكان عليها أن تطير من القاهرة ثم تأخذ السيارة من «سويسرا» الى « ديوفيل » .

وكان قد أرسل سائقا مع أحد سكرتيريه الى « جنيف » لاستقبالها هناك .. وفى اليوم المحدد لوصولها ، اتصل به السكرتير تليفونيا ليخبره أن « الطائرة » التى كانت تقل « كاميليا » من القاهرة الى « سويسرا » ، قد سقطت وتحطمت بالقرب من القاهرة ، وأن « كاميليا » قد توفيت .

فأعاد «فاروق» سماعة التليفون الى مكانها فى ذهول : هل من الممكن أن يكون هذا صحيحا .. اذ لم يكن هو بالذات يستطيع أن يصدق هذا .. وأنه من الجائز الا تكون قد ماتت.

ولما تمالك « فاروق » نفسه ، أمر واحدا من أعضاء حاشيته بالاتصال تليفونيا بالقاهرة على وجه السرعة ، لتفنيد هذا الادعاء الهراء ، لكن القاهرة أكدت هذه الأخبار .. لقد سقطت طائرة من طراز « كونستلاش » وتحطمت فى الصحراء بعد اقلاعها من مطار « فاروق » بنصف ساعة ، وأن « كاميليا » واسمها الحقيقى « ليليان كوهين » كانت من بين الركاب الذين ماتوا جميعا ، وكان عددهم خمسة وخمسين راكبا .

وبدأ « فاروق » يتخيل كل شيء عنها : ماذا كانت ترتدى ، وأين كانت تجلس ، ومن كان معها ، وفى أية لحظة بالذات تحطمت الطائرة ، فأخبروه أنها قد حوصرت داخل جسم

الطائرة ، واحترقت حتى الموت ، وكيف أن جواهرها وحليهـا قد تناثرت من حولها .

وحتى عندما ابلغ بكل التفاصيل ، لم يكن للملك « فاروق » ان يصدق حقيقة أنها قد ماتت بالفعل ، وقد أصيب بما يشبه الجنون ، لذلك استمر فى اعتقاده بأن لاشيء على الاطلاق يمكنه أن يمنع لقاءهما ..

وعندما اضطر الى ادراك الحقيقة بعد مرور عدة أيام ،قال « فاروق » ان وفاتها نذير شؤم بالنسبة له ...

وأخذ يكرر أمام أصدقائه بأنها قد جلبت له الحظ ، وأن الحظ قد أخذ يتخلى عنه بعد وفاتها .

فاسق ومستهتر

وفى ذلك الوقت ، أصبح « فاروق » شخصا بدينا للغاية ، « جلفا » فى تصرفاته وسلوكه ، وبذيئا ومبتذلا فى عاداته ، متماديا فى استهتاره وانغماسه فى ملذاته ، وفى استباحتـه وتبذيره لثروة بلاده ، فى وقت كان فيه الشعب يعانى من قسوة الحياة ، وأصبح على شفا مجاعة حقيقية .

كما أن سمعة « فاروق » تدانت الى الحضيض ، وأصبح فاسقا الى حد أنه كان يرسل تابعيه الى الفنادق والنـوادى الليلية كي يكتشفوا له النساء الجميلات .

وكان صبر شعب مصر فى طريقه الى النفاد ، سـواء منه أو من زمرته السيئة السمعة ، التى كانت تتكون من ايطـاليين ولبنانيين والبانيين .

واصبح الشعب يتساءل بصوت مرتفع : الى متى سوف يظل هذا الفاسق اللص متربعا على عرش مصر ؟..

الجزء السادس

فاروق والوفد

وهبت عواصف عنيفة ضده

نتيجة لكثرة فضائحه واستخفافه بمصالح الشعب، الآن «فاروق» الذى اعماه انغماسه فى ملذاته ومغامراته ، عجز عن ادراك آثارها عليه ، وعلى مستقبله ، فكانت بداية النهاية .



ورغم كل الفضائح ، وفقدان ماء الوجه ، الا أن « فاروق » تصور أن في مقدوره أن يشق طريقه بعيدا عن هذه المتاعب والأزمات . ويبدو أنه كان لا يزال واهما ، فقد كانت هيبته في نظر شعبه قد وصلت الى الحضيض . فلم يعد يظهر ظهورا عاما الا فيما ندر ، وواصلت الصحف حديثها عن صفقات الأسلحة الفاسدة التي كانت السبب الرئيسي في هزيمة القوات المصرية في حرب فلسطين ، والتي أكدت كل الدلائل أن « فاروق » وجماعته كانوا متورطين فيها .

الا أن « فاروق » عجز تماما عن ادراك أن كل هذه الاتهامات كانت موجهة ضده . ونبذ عقله التافه وتفكيره السطحي كل ماتحمله مقالات الصحف بين سطورها من مضامين .

وضحك « فاروق » يوما عندما مرت عيناه على مقال منشور في « أخبار اليوم » ، عن نذل مجهول ، تحت عنوان « من هو ؟ » ، ولم يكن المقال يتضمن اسم كاتبه الذي قال :

« هل هو ذكي ؟ هل هو غبي أبله ؟ لا أحد يعرف ، ذلك لأنه أحيانا مايتصرف كعبقري وأحيانا أخرى كمجنون مخبول ، ويبدو وجهه بريئا ، ثم يبدو مجرما ، هل هو طيب ؟ .. هل هو شرير ؟ .. ان لديه عينين قويتين مثل النمر ، الا انهما تتحركان مثل عيني أرنب ، انه يرى ولا يزال يبدو كأنه كفيف ، انه حي ، الا انه أحيانا ما يعتقد انه ميت . انه ينتمي الى الجنة والنار . وقد نال كل شيء كي يفقده فقط ، انه يهتم فقط بأي شيء لايزال في غير حوزته ، وانه قد يود أن ينزع قميصا من فوق جسم الى فرد آخر ، ان متعته الكبرى هي أن يسرق كل مايعتز به الآخرون ، سواء كان ثمينا أم رخيصا ، انه لص بطبعه انه يجهد نفسه ليسرق خروفا هزيلا من جاره ، ثم في اللحظة التي يمتلك فيها هذا الشيء ، يفقد اهتمامه به .

« انه يسرق من كل فرد ، حتى من أصدقائه وعائلته أيضا .

« انه يذكرنا بـ « جون شاني » ، الرجل ذي المائة وجه ، فاذا نظر الى المرآة ، فانها تنفجر ، وتشوه صوره المتعاقبة : ألوطني العظيم ، رجل الأقدار ، اللص ، وزعيم العصابة . وتلك على الأقل ، هي الصور التي أسبغها على نفسه . انه لايتردد بين الفضيلة والخطيئة قط ، ذلك لأن الخطيئة تغريه بصورة لا تقاوم ، وتمنحه متعة أكثر من الفضيلة . وقد تخلى أصدقاؤه عنه ، ويحاولون تقديم عذر له بالقول بأنه « رجل مريض » لكن الشعب على حق . انهم يقولون : انه ابشع لص » .

وعجز « فاروق » عن منع نفسه من الاستغراق في الضحك وفكر في أنه يتعين عليه معرفة كاتب ذلك المقال ، فاستدعى رئيس الرقابة على الصحف ، وكان «كريم ثابت » ، وبعث به الى الصحيفة كي يطلب اسم ذلك الوغد من رئيس التحرير . وعاد « كريم ثابت » باسم مزيف بالطبع . ولم يشك «فاروق» قط في أنه كان يقرأ صورة كاريكاتورية عنه .

وبينما كانت الصحف تسعى جاهدة للتحايل على الرقابة من اجل عكس سخط الشعب على الملك ، اكتشف «فاروق» فجأة ان أكثر أعدائه مرارة قد أصبح فجأة حليفـــا له . اذ كان « النحاس » باشا يخبر الجماهير الوفدية في ذلك الوقت أن مليكهم يمثل طموحاتهم ، وأنه يتعين عليهم أن يتطلعوا الى زعامته لهم . الا أن الملك ظل على شكوكه من أن رئيس الوفد قـــد أثنى عليه في خطب متتالية . وكان يكرر أمام « كريم ثابت » دائما : « انني لن أومن قط ان «النحاس »تفوه بتلك الكلمات» الا ان مستشاره الصحفي «كريم ثابت » الذي كان يحاول خداع الوفد كي يساند الملك ، ويستعيد الحكومة ، أكد له أن « النحاس » قد فعل ذلك تماما .

فقال « فاروق » :

« حسنا ، يبدو أن ست سنوات قد لقنتهم درسا »

وبدا ان تلك السنوات الموحشة عملت على تغيير «النحاس». لكن ماذا حدث للثورة المتأججة التي خاضها من اجل الدستور في السنوات الأولى ؟ ان الصدمات الأخيرة ادت الى اســــتكانته . وانطفأت جمرة الحماس لديه ، لكنه كان يشاهد ، مثل الآخرين الشعور الجماهيري العام يتحول ضد الملك ، وان شباب مصـــر المتحمس والجيش يتعاونون من اجل الاطاحــــة به . كما ان « النحاس » ، الذي كان عبقريا سياسيا بالكاد ، اعتقــد ان الوفد ، وحتى الحكومة نفسها ، سوف ينهاران اذا ماسقطت الملكية . وهكذا سمع كلام «كريم ثابت» ، وسمح للمستشار الصحفي للملك ان يعقد اجتماعات سرية مع سكرتيره العــام وساعده الأيمن « فؤاد سراج الدين » ، لتحقيق تقارب وعلاقات ودية بين الحزب والملك . وكي يثبتوا ولاءهم ، انضم الوفد الى الحكومة الائتلافية التي شكلها « حسين سري » للاعـــــداد للانتخابات العامة في بداية عام ١٩٥٠ .

وتصور « فاروق » و « حسين سري » أن في مقدورهمـــا التلاعب بنتيجة الانتخابات لتقسيم المقاعد بين الأحزاب الثلاثة الرئيسية : الوفد والليبراليين والسعديين ، حتى لا تصبح لأي حزب منها اغلبية مطلقة ، وبهذا يمكن للقصر ان يمســـك بناصية الميزان .

وقال « فاروق » لـ « كريم ثابت » مرات عديدة: « اذا حدث وفاز الوفد في الانتخابات ودعي لتشكيل الوزارة ، فلن يكون « النحاس » هو رئيسها » .

ومع ذلك ، فان انتخابات يناير سنة ١٩٥٠ أعطت الوفــد الأغلبية المتوقعة ، ففاز بـ ٢٢٨ مقعدا من عدد مقاعد البرلمان التي كانت ٣١٩ مقعدا . وكان الاختيار الوحيد الواضح أمام كل فرد ، ماعدا « فاروق » ، فيما يتعلق برئيس الوزراء ، هو « النحاس » ، الا ان الملك هدد بشراسة وفظاظة بالتخلي عـن العرش ، اذا ماقرر الحزب تعيين « النحاس » باشا لرئاســة الحكومة .

وقال « فاروق » لـ « كريم ثابت » :

« اذا فعلوا ذلك ، فانني سوف ارفض التصديق على نتيجة الانتخابات ، وعندها سوف اطرد الأحزاب وأشـــكل حكومة عسكرية برئاسة الفريق «حيدر» ، ثم أتولى مسئوليات الحكومة بنفسي » .

واخيرا ، اقنعت الجماهير التي احتشدت للاحتفال خـارج منزل « النحاس » بجاردن سيتي ، « فاروق » بأنه ليس امامه اي خيار سوى الموافقة على « النحاس » كرئيس للحكومة . وتوقع أن « النحاس » سوف يستأنف صراعه وكفاحه من اجل السلطة الدستورية ، لكن « فاروق » عندما قابل « النحاس » ادرك ان جذوة الحماس قد فترت .

اذ أن «النحاس» ، وقد بلغ السبعين من عمره ، أصـبح رجلا عجوزا واهنا مترددا ، تخلى عنـه دهاؤه ومهـــارته السياسية ، ولم تترك له السنين شيئا سوى رنين صـوت وشعار الاستقلال ووحدة وادى النيل .

وكان « النحاس » يمثل بالنسبة لـ « فاروق » ، مجــرد تعويذة يمكنها حفظ قطاع من الصحف والجمهور ساكنا ، وأنه ـ «فاروق» ـ كان قادرا على لفه حول أصبعه مثل خاتمه الذى يلبسه . ومع وجود ديون سياسية كثـــيرة كان يتعين عليه سدادها ، وكثير من الوعود التى كان ينبغى له الوفاء بهـــا والتى قدمها اثناء السنوات الست العجاف ، مالبث «النحاس» أن أصبح متورطا ، رغما عنه ، فى الصفقات الغامضة المشبوهة التى كانت قد دمرت حزبه مرات كثيرة فى الماضى ، وقد سعى أقرب الناس اليه الى تعويض السنوات المفقودة ، عن طريق اعمال وصفقات مريبة ، لاثراء انفسهم .

وقد عملت أحزاب المعارضة على نشر تلك الفضائح ، واحدة تلو الأخرى ، وقامت بتزويد المعارضين بالحقائق عـن الفساد المستشرى داخل الحكومة ، ومحاولاتها دفن مسألة صفقـــات

الاسلحة الفاسدة التى كان « فاروق » يعد المتورط الرئيسى فيها .

كل هذا فى وقت كانت فيه أسعار المعيشة المرتفعة بشاعة تضرب الفلاحين بعنف ، بينما كانوا فى الواقع يعانون من فقر مدقع لأول مرة منذ الايام الاولى من الحرب العالمية الثانية ..

ومع ذلك ، فان « النحاس » لم يبذل اى مجهود حقيقى للتخفيف من حدة ذلك البؤس ، ولم يكن الباشوات يعتنون الا بأنفسهم .

وفى الماضى ، كان « النحاس » فى حاجة فقط الى ترديد شعاراته المعادية للبريطانيين ، لكى يحرق سخط الجماهير ، لكنه كان فى ذلك الوقت يتلعثم فى سياسته الخارجية ، مرتبكا فيها أيضا .

وكان فى امكان « النحاس » ، بصفته رئيسا للوزارة،وزعيما لأغلبية كبيرة ، أن يعيد فتح المفاوضات مع بريطانيا على أساس ماتوصلت اليه محادثات « صدقى ـ بيفين » من نتائج ، اذ كانت حكومة « آتلى » قد اقرت بالجلاء الكامل فى عام ١٩٤٩ ، وعندما مر « ايرنست بيفن » بالقاهرة فى نهاية شهر يناير ، انتهز زعيم الوفد الفرصة للمطالبة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وحل مسألة السودان لصالح مصر .

وساند « فاروق » ، الذى قابل « بيفن » فى ذلك الوقت ، تلك المقترحات ، لكن رئيس الوزارة البريطانية رفضها . كما رفض استئناف المفاوضات ، وأعلن أن هناك ظروفا داخليـــة ودولية تحتم على بريطانيا ابقاء مصر كقاعدة لهم ، منها أن حزبه كان يواجه انتخابات عامة فى الشهر التالى . ومنهـــا أن الشيوعيين كانوا يتحركون بنشاط فى اوروبا والشرق الأقصى

واعتقادا منها بأن الملك لابد وان يرى أن مصالحه تكمن فى مقاومة الشيوعية ، وانه لابد وأن يعمل على تلطيف عنـــاد « النحاس » ، قامت بريطانيا بمحاولة لتحسين علاقاتهـــا مع « فاروق » ، واستغلت فى ذلك احترامه للأسرة الملكية البريطانية .

وكان « دوق ادنبره » و « دوق جلوسيستر » قـد قاما بزيارة لـ « فاروق » سنة ١٩٥٠ ؛ كما تلقى « فاروق » دعوة من لورد « لويس مونتباتن » لحضور حفل عشاء معه على ظهـر الباخرة «ليفربول » التابعة للأسطول الملكى البريطانى ، فى ميناء الأسكندرية .

كما منحه ملك انجلترا رتبة جنرال فى الجيش البريطانى ، وقد تم تقليده هذه الرتبة فى احتفال خاص اقامه السفـير البريطانى الجديد ، سير « رالف ستيفنسون » .

وعلق فاروق أمام « كريم ثابت » بأنه يعتقد أن هذه الرتبة عبارة عن « تعويض عن حادث ٤ فبراير » الذى كان سيؤدى فى الغالب الى عزله ..

ولم يكن فى مقدور « فاروق » مقاومة جاذبية ارتداء الزى الرسمى وعليه شارة الرتبة الجديدة ، ودعوة الضـــباط البريطانيين العسكريين فى « فايد » الى مأذبة فى قصـــر « انشاص » حتى يقوموا بتادية التحية له .

ثم أعطاه البريطانيون بعد ذلك هدية خاصة له : طـائرة هليكوبتر جديدة لاستخدامه الخاص . وزام « فاروق » قائلا يومها « لقد جاءت متأخرة عشر سنوات » .

وبدا يومها أن الوفد عازم على حسم النزاع مع بريطانيا حول القضايا الوطنية : الجلاء عن منطقة القناة ومسألة السودان، هذا على الرغم من أن سير « ويليام سليم » ، رئيس هيئة أركان القوات الملكية البريطانية ، وسير « رالف ستيفنسون » ، حاولا اقناع «النحاس» باشا أن بريطانيا لن تتزحزح عن موقفها ، فى ضوء حرب « كوريا » بصفة خاصة .

وفى ١٦ من نوفمبر قرأ «النحاس» باشا خطاب العرش فى حفل افتتاح البرلمان ، وجاء فيه :

« أن حكومتى تعتبر أن معاهدة ١٩٣٦ قد فقدت مفعولها وشرعيتها ، كأساس للعلاقات الانجلو ــ مصرية ، وانها تعتقد أنه لا مفر من الغائها . ومن الضرورى أيضا أن تتم اقامة علاقات

المستقبل على أساس مبادىء جديدة ، تنبغى موافقتكم عليها : الجلاء الكامل وتوحيد وادى النيل تحت التاج المصرى ..

« لذلك فان حكومتي تواصل بلا تردد أو تأخير غير ضرورى مباشرة مهمة تحقيق هذه الاهداف الوطنية ــ اعلان انهاء معاهدة ١٩٣٦ ــ مع اعلان آخر بالغاء الاتفاقيتين اللتين تم توقيعهما فى السادس عشر من يناير والعاشر من يوليو سنة ١٨٩٩ ، والخاصتين بانشاء حكومة ثنائية فى السودان . »

وأثار الخطاب المظاهرات ، التى اعتقد الوفد أنه سيكون لها ثقل لدعم مناقشاتهم السياسية .
وأدى الموقف الى قيام صحيفة « نيويورك تايمز » الامريكية بنشر مقال افتتاحى قالت فيه :

« ان العنف الذى صاحب افتتاح البرلمان المصرى أمس دلالة على موقف دولى خطير . اذ كانت حكومة الوفد بمثابة خيبة أمل عظيمة لأولئك الذين كانوا يأملون فى تقدم اجتماعى واعادة بناء الاقتصاد من جديد فى مصر ، بعد نكبة حرب فلسطين . الا انه كان هناك مزيد من عدم الكفاءة والفساد أكثر من المعتاد ، وكان الطرد الاستبدادى لعشرين من أعضاء مجلس الشيوخ التابعين للمعارضة فى يونيو اجراء مضادا لكل الممارسات الديمقراطية ، وقد جلب الملك « فاروق » على نفسه حملة عالية من الانتقادات بسبب نشاطاته ، والمحنة الاقتصادية التى كانت حادة بالفعل أخذت تتفاقم باستمرار ... ولسوف يجد الغرباء انه من الصعب الاعتقاد بأن هذه الاثارة للجماهير ليست وسيلة لتحويل مشاعر الجماهير عن الفساد والمساوىء الداخلية » .
وقاومت وزارة الخارجية البريطانية خطاب العرش بصراحة الا أن « بيفن » أعلن انه يتعين عقد اتفاق ينص على الانسحاب التدريجي للقوات ، على شرط أن يكون فى مقدور كل من الدولتين تحديد الظروف التى يمكن فيها للقوات العودة الى مصر .

ولزيادة مشكلات الحكومة و « فاروق » ؛ وردت اخبار من أمريكا تفيد أن « فتحية » الشقيقة « فاروق » تنوى الزواج من « رياض غالى » . وهو شاب مسيحى كان دبلوماسياً من قبل ، وكان يعمل سكرتيرا للملكة الأم وبناتها فى الولايات المتحدة ، وكان زواج أميرة من شاب غير مسلم سيثير ضجة فى مصر . لذلك بعث « فاروق » أحد معاونيه ، العميد « أحمد كامل » ، الى أمريكا ليحاول منع اتمام هذا الزواج ، وحث « فاروق » مبعوثه ، وكان رئيسا لبوليس القصر ، على اتخاذ اية خطوة ، حتى محاولة اقناع حكومة الولايات المتحدة بترحيل « رياض غالى » بالقوة .

وبرغم مبعوث الملك والتحذيرات التى حملها معه ، فقد تم الزواج فى ١٠ من مايو سنة ١٩٥٠ ، وعلى مدى عدة أيام تغاضت الصحف عن كل شىء آخر من اجل ابراز الفضيحة .

ولما كان « فاروق » لم يوافق على الزواج بصفته رأس العائلة ولأن شقيقته قد تزوجت شابا من خارج دينها ، فقد كان عليه حرمانها من ألقابها ومصادرة ممتلكاتها . وكانت أمه قد قبلت بهذا الزواج ، لذلك تمت معاملتها هى أيضا بنفس المعاملة .«١»

وفى وسط النزاع مع بريطانيا ، اثناء نهاية صيف عام ١٩٥٠ قرر « فاروق » القيام برحلة الى أوروبا . وقد كان توقيت الرحلة غير دبلوماسى تماما ، فى ضوء المشكلات التى كانت حكومة الوفد تواجهها فى الداخل ، وفى ضوء ازدياد حدة الحرب الباردة فى أوروبا .

وكان فى مقدوره الاعتماد على « كريم ثابت » ورقابته على الصحف كي يحميه فى مصر ، وكان يحلم بخطة بارعة لاعاقة وصد الانتقادات فى الخارج ، وذلك بأن يسافر متخفيا ! وان يذهب تحت اسم « فؤاد المصرى » باشا ، وبجواز سفر مزيف . الا انه فى اللحظة التى وضع فيها قدميه على رصيف ميناء « مارسيليا » ، أصبح هدفا لرجال الصحافة والمصورين . الجسم القصير الممتلىء ، والوجه المليح ، والشوارب الكثة .

فلم يكن من المتعذر على أحد التحقق من هوية ذلك الشخص عندما ظهرت صوره في الصحف العالمية ؟ .

ومع ذلك ، فان « فاروق » ، بحراسه الالبانيين الثلاثة الذين كانوا يسيرون خلفه مثل ظله الى أي مكان يذهب اليه ، كان يعتقد أن في امكانه الاختباء وراء نظارة سوداء .

وكان المصورون يكمنون له خارج الكازينوهات التي كان يرتادها في « كان » أو « مونت كارلو » ، حيث كان « فاروق » يلعب الروليت ، مركزا على رقم ٩ ، الذي بدا كأن له مغزى غامض بالنسبة له .

ولم يجر « فاروق » أية لقاءات صحفية ، وكان كثيرا ما يزمجر في وجوه الصحفيين والمصورين ، لكن قصصه ظهرت مع ذلك في الصحف ، وعرف الصحفيون أو ادعوا انهم يعرفون عدد الدجاجات التي كان يأكلها في الوجبة الواحدة ، وعدد زجاجات العصير التي يشربها ، ومقدار الأموال التي انفقها . وكيف كان من الممكن أن يتعذر عليهم التحقق من شخصيته عندما تقدمت سيارة « فؤاد المصري » باشا قافلة من سبع سيارات كاديلاك ، يحيط بها على الجانبين رتل من راكبي الموتوسيكلات ؟

وعندما سبقته طائرته ، قام أحد سكرتيريه بحجز طوابق كاملة في الفنادق له ولمرافقيه ومعاونيه .

وكانت وجهته « ديوفيل » . وكانت « آني بيرير » تغني في كازينو « الامباسادور » ، وكان قد دعا احدى الراقصات المصريات التي كان يستحسنها كثيرا للانضمام الى مجموعته كما أرسل كذلك برقية لاستدعاء « كاميليا » ...

وعندما وصل موكبه الى فندق الجولف ، تجمع حشد من حوله . فنظر اليهم « فاروق » بغضب وقال : « أنتم تعرفون أنني جئت متخفيا » .

وكان عليه أن يتخلى عن اسمه المزيف ، بسبب

الدعاية التى سبقته ، وبسبب وجود عدد كبير من مشاهير العالم الآخرين فى « ديوفيل » .
اذ كان يوجد هناك « اغا خان » وزوجته « البيجوم » والأمير « على خان » و « ريتا هيوارث » ، ومجموعة أخرى من الشخصيات الشهيرة فى العالم .

وكانت لديه فكرة رائعة عن صديقته المغنية « آنى بيرير » وأقنع مؤلف أغان فرنسى أن يكتب لها اغنية عنوانها « اغنية النيل » ، وكان يتصرف كوكيل دعايتها . وقام بتأجير الكازينو ، ودعا جميع الشخصيات الهامة لحضور حفل الافتتاح الذى غنت فيه « آنى » اغنيته لاول مرة . ولم تلق الاغنية رواجا ، الا انها ساعدت « آنى » على دعم شهرتها .

وبينما كان « فاروق » مستغرقا فى متعه ولهوه ، كانت الأمور تسير فى غير صالحه ، سواء داخليا فى مصر أو خارجيا وبدأت الصحف فى أوروبا وامريكا توجه اليه انتقادات عنيفة بسبب سلوكه الفاضح وانفاقه الأموال بتهور وبلا حساب . وعرف من انباء القاهرة ان الصحف المصرية أخذت توجه ضده هجمات مستترة . وان احد رجاله ، المتهم باستغلال حرب فلسطين لجمع المال ، قد ألقى القبض عليه فى المطار ، وأن قضاة القاهرة أصدروا أوامر بالبحث عن أعضاء آخرين من حاشيته

فاتصل « فاروق » ب « النحاس » باشا ، الذى كان موجودا فى أوروبا للعلاج ، وطلب منه معرفة سبب كل تلك الاجراءات ضد رجاله ، والمح « فاروق » بأنه مالم يتدخل زعيم الوفد لوقف التحقيق ، فان رئيس الوزراء سيكون عليه أن يحكم بدون ملك . فوعده « النحاس » بالعمل على الغاء الاتهامات ؛ ومحاولة كبت وخنق حملة الصحافة ضده .

لكن لم يكن فى مقدور أحد أن يفعل شيئا للصحافة العالمية. وفى ثمانية أسابيع جنى لنفسه سمعة رجل مستهتر ، مهرج متحجر القلب والفؤاد ، يتلاعب ويعبث بثروة بلاده فى حين

يكافح شعبه للبقاء ومواصلة الحياة باقل من ثلاثة جنيهات فى الشهر . كما وصفوه بأنه فاسق لا يكف عن غواية النساء .

كما ان الشعب المصرى بدأ يضيق ذرعا به ، وبزمرته السيئة السمعة من الايطاليين واللبنانيين ، وبحرســـه الالبانيين ، وبخبرائه فى ابتزاز الأموال بطرق غير مشروعة ، مثل « الياس أندراوس » .

وبعد عودته بعدة أيام ، اتحدت أحزاب المعارضة وقـــامت بتسليم عريضة الى قصر عابدين ، وقعها زعماء الســـعديين والليبراليين ، والوطنيين والمستقلين ، وكادت العريضة تتهـــم الملك ومستشاريه كذلك . وجاء فيها :

« ان مصر تمر اليوم بمرحلة قد تعتبر أكثر المراحل حرجا وخطورة فى تاريخ البلاد . وانه لمن المؤسف أنه عنـدما ترنو البلاد الى القصر ، تظهر عقبات فى الطريق بلا سبب واضح ، لقد وضعت الظروف فى القصر مسئولين معينين لايستحقون شرف ذلك . وهؤلاء الرجال يقدمون نصائح سيئة ، ويسيئون معالجةالامور . كما أن بعضهم أصبح محل شكوريبة ،ويجرى الآن التحقيق معهم فى انهم متورطون فى فضائح الأسلحة التى كان لها تأثير سيء على جيشنا الباسل .

« والاعتقاد السائد يدل على أن العدالة سوف تكون عاجزة عن مس اولئك المسئولين ...

« أن صحافة العالم تصفنا بأننا شعب يتحمل الجور والظلم بهدوء وسكينة ، وتقول اننا لا نعلم اننا نعامل بسوء وقسوة . واننا نساق مثل الحيوانات. ان الله يعلم أن صدورنا ونفوسنا تغلى بالغضب ، وأن أملا بسيطا فقط هو الذى يكبحنا ..

« ان البلاد تتذكر تلك الأيام السعيدة عندما كان جلالتـكم الراعى الطيب المخلص ، ان كل آمال البلاد تتركز فى جلالتك »

واتهمت المذكرة المشتركة العصبة غير المصرية المحيطة بالملك، وحثته على تخليص بلاطه من هؤلاء الأشخاص .

لكن المذكرة ، بطابعها الثورى ، انتهت بجملة بدا منهـا كما لو كان الزعماء السياسيون قد سئموا بعدم امكانية اصـلاح الملك .

وبصورة متناقضة ظاهريا ، كان « النحاس » هو الذى تصدى للدفاع عنه ، بأن أزاح المذكرة جانبا بلا ادنى مبالاة ، وهتف للملك بصفته « حامى الدين ومحسننا كريما » .

وفى تلك اللحظة ، اصبح « النحـاس » ومساعدوه ، و « سراج الدين » ، هدف هجوم عنيف من المعارضة ، واتهامها لهم بالفساد . وبدا كما لو كان الوفد والقصر قد عقدا ميثـاقا للتغاضى عن الاعمال الشريرة لبعضهم البعض .

وأثار كل من « اندراوس » و « كريم ثابت » موجـة من الغضب والسخط فى جميع انحاء البلاد . وكان «اندراوس» بصفته المستشار الاقتصادى للملك ، يعلم « فاروق » الحيـل التى كانت جديرة بوالده وجده .

وتمكن « فاروق » ، بنصيحة من « اندراوس » ، من اقنـاع الوفد الطيع بأن يعفيه من التزامه بدفع ضرائب على أرباحـه ودخله ، وحتى على ريعه السنوى أيضا .

وباع « فاروق » احد يخوته « فخر البحار » الى الحكومة ، ثم اضطرها الى اعادة تجديده وتأثيثه بمبلغ كبير ، ثم عـاد واستولى عليه من اجل رحلات المتعة واللهو التى كثيرا ما كان يقوم بها .

وهنا ترددت عدة اسئلة منطقية :

— عند أى حد تتوقف اطماع « فاروق » ؟

— ومتى يبلغ حد التخمة ؟

الا ان « فاروق » اظهر ان اطماعه بلا حدود . اذ عندما اصبح مالكا لخمس الاراضى الصالحة للزراعة فى البلاد ، واصبحت قصوره تعج بالثروات والتحف المشتراة أو المسروقة ، كان يدبر وسائل وحيلا جديدة لزيادة ثروته .

وهناك حيلة جربها على مئات من أصدقائه أصبحت تعرف باسم « صندوق الكنز »

وكان الصحفي « على أمين » ، أحد ضحاياه ، اذ لم يكن قد مضى على زواجه الا عدة أيام ، عندما تلقى مكالمة من « كريم ثابت » الذى قال له :

« أنت تعلم أنه توجد عادة في مصر تعطى وفقا لها صندوقا من الشيكولاته لكل من أصدقائك . والملك صديق لك ، ألست في سبيلك لأن تعطيه صندوق شيكولاته ؟ »

فأجابه « على أمين » قائلا :

« نعم ، بالطبع . »

فرد عليه « كريم ثابت » قائلا :

« حسنا ، يوجد صندوق يحبه الملك في محل « أحمد نجيب » « الجواهرجي الملكى » ، وانه من الواجب أن تملأ هذا الصندوق ثم تبعثه اليه . »

فقام « على أمين » بزيارة محل « أحمد نجيب » ، وسأله عن الصندوق . فعرضه الجواهرجي عليه ، فنظر الى بطاقة السعر: ستمائة وخمسون جنيها ! فانطلق « على أمين » خارجا من المحل بدون الصندوق . وقام بعدة استقصاءات ، فاكتشف أن مئات من أصدقاء « فاروق » قد تم استغفالهم لشراء هذا الصندوق نفسه . اذ كان « فاروق » عندما يأكل الشيكولاته ، يعيد الصندوق الى المحل ، الذى يقوم باضافة ستمائة وخمسين جنيها الى رصيد « فاروق » وهكذا ..

فقام « على أمين » بشراء صندوق صيني غالى الثمن ، وملأه بالحلوى ، ودبر أمر تسليمه للقصر . فجن جنون « فاروق » وغضب كثيرا عندما أدرك أن شخصا ما قد عرف حقيقة حيلته .

ولم يكن هناك أحد يعرف جيدا ماذا يحرضه على ذلك .. هل هو الاستخفاف وعدم الاكتراث ، أم الحماقة والجشع ، أم رغبة مجنونة لامتلاك كل مايخص الآخرين ؟ .

هل كان يجمع المال حبا في جمعه فقط ، تماما مثلما يجمع الحصى من الشاطىء ، يصرف النظر عن شكلها أو قيمتها ، ويقوم بخزنها وحشدها في قبوه ؟

يبدو أن كل هذه التصرفات الشاذة والغريبة كانت بلاهدف وغيرعاقلة كما إعتاد فيحياته كلها .الا إن سلوكه أحيانامايكون جديرا بالتقدير ، مثال ذلك أن أحد أصدقائه قدم اليه يوما وقال له :

«يمكنني انأحصل لك علىسبعةملايين دولارمنتاجر أمريكي مقابل مجموعة الطوابع التي لديك على أن يودع المبلغ في الخارج . »

فما كان من « فاروق » الا ان قال له بعنف بالغ : «ماذاتقول؟! أبيع أشياء استغرق أبي وقتا طويلا لجمعها »

وبدا « فاروق » يومها ذا مناعة تجاه الاحتجاجات الغاضبة للسياسيين والشعب ، ومع ذلك فانه كان ينفعل مثل طفل شديد الحساسية ، عندما يخز شيء ما خيلاءه وغروره .

وفي أحدى الليالي ،استدعى « كريم ثابت »من القاهرة الى الاسكندرية علي وجه السرعة لدرجة أن اللبناني اعتقد أن ازمة وزارية أخرى قد انفجرت . وكان وجه « فاروق » الدائري محمرا عندما دخل عليه مستشاره الصحفي ، ولوح في وجهه باحدي المجلات الأمريكية ، ثم فتح المجلة على صفحة تظهر فيها صورة للملك « فؤاد » ، ونظر « كريم ثابت » ، فشاهد الى جوار الملك « فؤاد » ، صورة لجراح بارز من الاسكندرية ، كان قد اطلق شاربا عسكريا مثل شارب الملك المتوفى ، وقد برمه بالشمع من طرفيه ، حتى بدا كل منهما مثل سن الابرة .

وصاح « فاروق » بغضب في وجه مستشاره :

● « لابد من قطعه . انه مرسوم ملكي » .

وهكذا كان على « كريم ثابت » أن يوقظ رئيس البوليس من نومه ، ويذهب معه بالأمر الملكي الى الطبيب ، ويرغمانه على ترك فراشه ، وينتظران حتى يحلق شاربه .

ولم يذهب « فاروق » الى فراشه الا عندما علم بأن المرسوم قد تم تنفيذه .

الجزء السابع

البحث عن زوجة جديدة

ووسط ضياعه وعماه ، توصل
بعض اصدقائه الى ان زواجـــا
جديدا قد ينقذه من مصـــيره
المحتوم ، فكان زواجه من « ناريمان »
التى شهدت نهايته ، وعزله ونفيه
وانهيار اركان الملكية فى مصر .



وشعر بعض أصدقائه أن زواجا آخر قد ينقذه من مصيره المحتوم ، ويعيد له مافقده من هيبة وسمعة : زوجة من عامة الشعب ، مما قد يعوض له بعض ماضاع منه وتبدد من ثقة الشعب ، وربما ينتج عن هذا الزواج انجاب ابن ووريث للعرش هو في حاجة ماسة اليه .

وتواترت الاخبار بصورة غير رسمية تفيد بأن الملك يبحث عن عروس .. وكان على « أحمد نجيب » ، جواهرجي القصر الملكي ، أن يشترك في البحث عن العروس المنشودة .

وفي يوم ما من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، دخل محل « أحمد نجيب » فتى وفتاة ينشدان شراء خاتمي خطبة ، وعندما شاهد الجواهرجي الفتاة ، بحلق فيها قليلا ثم تهلل وجهه فرحا كمن يقول : وجدتها .. وجدتها .

ووجه الجواهرجي عدة أسئلة دفعة واحدة الى الفتاة ، فأجابته عنها بصورة طبيعية : سوف تبلغ السادسة عشرة من عمرها في ٣١ من أكتوبر .. وانها زميلة الأميرة « فريال » ، شقيقة الملك ، في المدرسة .. وأن اسمها « ناريمان صادق » وأن خطيبها موظف مدني اسمه « زكي هاشم » .

فجمع الجواهرجي الخواتم المنثورة أمامه ، وقال للفتاة : « انك تحتاجين شيئا أفضل من هذا بكثير . ويوجد لدي في الاسكندرية خاتم خاص يناسبك تماما . اعطيني عنوانك ورقم تليفونك ، وسوف اتصل بك عندما أحضره هنا خلال يومين . »

واخذ الجواهرجي عنوان الفتاة ورقم تليفون منزلها ، ثم اتصل على الفور بالملك « فاروق » ليخبره بالنبأ السار ، واعد لـ « فاروق » فرصة ليشاهد الفتاة بنفسه عندما تعود اليه

لمشاهدة الخاتم الفريد الذى وعدها به .

وكانت « ناريمان » تجرب الخاتم ، وخواتم أخرى ، عندما دخل الملك «فاروق» محل الجواهرجي . واقترب منها «فاروق» وبلا أية مقدمات بدأ يوجه اليها الأسئلة .. وقد أثارت أسئلته الرهبة فى قلب الفتاة :

- هل يوجد أى باشوات فى الأسرة ؟
- وهل تتحدثين أية لغات أجنبية ؟

وبدأ اهتمام « فاروق » بـ « ناريمان » يزداد ويتعمق عندما شاهد انها قد اختارت خاتم الخطبة .. لقد تمت خطبتها ومن ثم أصبح يرغبها .

ولكن ماذا عن خطيب الفتاة ، « زكى هاشم » ؟.. لقد قام « فاروق » بحل هذا المشكل بمنتهى البساطة . اذ أمر والد الفتاة ، « حسين فهمى صادق » ، بالتوجه الى خطيب ابنته ليخبره أن زواجه قد تم الغاؤه بمرسوم ملكى .

وبعد خمسة عشر عاما من توليه عرش مصر ، كان « فاروق» يتخذ العدة لاتمام زواجه الثانى .. وتم الحفل فى قاعـــة « اسماعيل » بقصر عابدين .

وقد أصدر مرسوما ملكيا بأن يتم الاحتفــــال بزواجه من « ناريمان » بصورة تفوق أى احتفال اقيم فى القصر أو فى أى مكان فى البلاد من قبل ، كما يجب أن يفوق الاحتفالات بزواجه الأول . وتلألأت القاهرة بأقواس نصر من أنوار النيون ، وازدانت شوارعها بصور « فاروق » و « ناريمان » .

لكن لم يكن أى مرسوم ملكى بقـــادر على ارغام الشـــعب المصرى بالهتاف والاحتفال بملك فقد ثقتهم واحترامهم ، لذلك فان الشعب لم يشارك فى احتفالات زواجه من « ناريمان » قط ، وكان احتفالا رسميا .

واستمر شهر العسل ثلاثة عشر أسبوعا ، وكلف « فاروق » الف جنيه يوميا . فقد توجه هو وعروسه الى « تورمينا » بجزيرة « صقلية » ، ثم الى « كابرى » و « فينسيا » ثم الى « سويسرا » .

***

وعند عودته من رحلة شهر العسل التى استمرت ثـلاثة عشر اسبوعا قضاها هو و «ناريمان» فى أوربا ، كانت هناك ازمة بالغة الحدة فى انتظاره . فالحالة الاقتصادية فى البـــلاد وصلت الى الحضيض ، وأسعار الخبز والحبوب وزيت الطهى بلغت أقصى حد لها ، وكان عدد العاطلين يزداد بصورة مطردة وكانت جماهير الفلاحين ساخطة وناقمة على الحكومة والملك .

ثم جاءت ازمة القطن العظمى ، عندما هبطت أسعاره بصورة كبيرة ، فتدخلت الحكومة لتحفظ أسعاره عند مستواها المرتفع مما أدى الى بقاء معظم محصول القطن لعام ١٩٥١ مختزنا فى الشون دون أن يباع . وواجهت البلاد الافلاس .

وعند أول لقاء له مع «النحاس» هب الملك فى وجه رئيس وزرائه بعنف بسبب سوء الادارة والفساد المستشرى فى حكومة الوفد .

فانهار «النحاس» العجوز امام الملك وقال وهو يبكى :

« انك تقول هذا لى .. أنا الذى ضحيت كثيرا من اجلك »

فأجابه «فاروق» قائلا :

« ليس انت ياباشا ــ بل الآخرون »

وكانت لحظة من الممكن أن تؤدى الى أنهاء العداوة بينهما ، لكنها مرت دون أى أثر .

وفى ذلك الوقت ، كان العداء الوطنى ضد البريطانيين فى مصر قد بلغ ذروته ، وشهدت منطقة القناة فى خريف ١٩٥١ كثيرا من الهجمات العنيفة التى شنها الفدائيون المصريون ضد المعسكرات البريطانية .

واقترحت بريطانيا حلا دبلوماسيا ، بانه يتعين على مصر أن

تصبح عضوا فى حلف للدفاع عن الشرق الأوسط يضم فرنسا وتركيا والملكة المتحدة والولايات المتحدة ، وبدا أن هذا يدعم فقط تصميم «النحاس» على الغاء المعاهدات مالم تسلم بريطانيا بالجلاء التام وبالسيادة المصرية على السودان . ومع أن الوفد كان يلجأ الى لعبته الخاصة بمضايقة بريطانيا ومهاجمتها علنا ، الا ان زعمـــاءه كانوا مستعدين للتباحث بجدية مع السفير البريطانى ، سير « رالف ستيفنسون » فى السر . الا ان ذلك لم يتم ، واندفعت الأزمة بين حكومة الوفـــد والانجليز الى ذروتها .

وفى ١٥ من اكتوبر سنة ١٩٥١ ، وافق البرلمان الوفدى على الغاء المعاهدات ، مما أثار غضب الانجليز ، وبعث «انتونى ايدن» وزير الخارجية فى حكومة المحافظين بتحذير الى مصر ، مشيرا الى ان معاهدة ١٩٣٦ لاتتضمن بندا ينص على حق الالغاء من جانب واحد ، الا ان حكومة الوفد كانت قد الغت المعاهدة بالفعل ، واعلن «فاروق» ملكا على مصر والسودان .

وفى غمرة صدامهما مع بريطانيا ، كسب «فاروق» و«النحاس» حليفا غير متوقع : سفير الولايات المتحدة « جيفرسون كافرى » وكان قد قدم الى مصر منذ عامين .

اذ كان الأمريكيون قد اكتشفوا فى فترة مابعد الحرب مدى الاهمية الاستراتيجية لمنطقة القناة ، والتأثير الاقتصادى لمنابع بترول الشرق الأوسط . لذلك شعر «كافرى» أن فى امكانه أن يتوسط فى الصدام بين الطرفين .

ولم يحظ تدخل «كافرى» الا بالامتعاض . اذ نادرا ماكان «ايدن» ينظر الى ضغط السفير الامريكى من أجل اجراء استفتاء عام بشأن السودان كحركة ودية ومفيدة ، وكان يبدو للبريطانيين ايضا أن «كافرى» كان يريد منهم الجلاء عن القناة دون ضمانات كافية بأنه سوف يتم الدفاع عنها فى وقت الحرب . وبدا الأمر لوزارة الخارجية البريطانية كما لو أن السفير الامريـكى يحاول دفعهم الى التسليم بسيادة « فاروق » على السودان

في مقابل تقديم مساعدته في التفاوض من اجل صيغة ما غامضة حول منطقة القناة .

وكان « فاروق » و « النحاس » يتصوران في ذلك الوقت ، انه أيا ماكانت الصعوبات التي قد يواجهانها في مواجهة بريطانيا فانه في مقدورهما دائما الاعتماد على السفير الامريكي لتذليل تلك الصعوبات .

ومع ذلك ، فان بريطانيا كانت قد قررت في تلك المرحلة ، الصمود في وجه حملة الكراهية التي اثارها ضدها « النحاس» وحزب الوفد .

واندفعت جموع الطلبة وعمال المصانع العاطلين في شوارع القاهرة يهتفون « تسقط بريطانيا .. يعيش النحاس » ..

وفي منطقة القناة ، كانت وحدات الفدائيين ورجال حرب العصابات يستخدمون البنادق والقنابل اليدوية والديناميت والقنابل الحارقة ضد خط «أرسكين» ، الذي حدده القائد البريطاني الجنرال سير «جورج أرسكين» ، حول منطقة القناة .

ورصد الفدائيون آلاف الجنيهات لمن يقتل «أرسكين» ،وفي منتصف نوفمبر ، قتل ثلاثة ضباط بريطانيين في كمين نصبه لهم الفدائيون .

وفي ١٩ من ينـاير ١٩٥٢ قام الفدائيـون المصريون في وضح النهار ، بشن هجوم عنيف على اضخم مستودع للذخيرة في الشرق الأوسط ، وكان في التل الكبير . وفي نهاية الاسبوع قاموا بتفجير مستودع كبير للأسلحة .

وكان الفدائيون ، في كل حالة ، يأتون من ثكنتي عساكر بلوك النظام في الاسماعيلية .

ولمواجهة هذه الحملة الفدائية ، حرك «أرسكين» قواته ودباباته في فجر يوم ٢٥ من يناير ، وطلب رجاله من قائد بلوك النظام الاستسلام ، فاتصل القـائد ، اللواء « أحمد رئيف » تليفونيا بـ « سراج الدين » وأيقظه من نومه كي يتلقى منه التعليمات ، التي كانت : « قاوموا لآخر طلقة » .

وفى الساعة السابعة صباحا ، فتحت قوات بلوك النظام نيران بنادقها ورشاشاتها على القوات المحاصرة لهم ، وحدثت معركة غير متكافئة ، انتهت عند الظهر ، قتل فيها ستة وأربعون من رجال البوليس المصرى وجرح مائة آخرون ، فى حين فقد الانجليز عددا من قواتهم وجرح عدد آخر .

واثارت احداث القناة موجة عارمة من الغضب فى القاهرة ، وطلب شباب الوفد القيام بمسيرة احتجاجية فى اليوم التالى فوافق «سراج الدين» على شرط ان يتركوا الملك لحاله . وكان «فاروق» قد تلقى كثيرا من الاساءات العلنية ، ولم يكن الوفد يريد تكرار ذلك .

وفى مساء اليوم الذى جرت فيه معركة القناة ، قرر شباب الوفد والاخوان المسلمون عقد اجتماع لهم فى جامعة «فؤاد» فى اليوم التالى ، واعلن عساكر بلوك النظام الاضراب العام ، ونظم العمال حملة لمقاطعة المنتجات البريطانية ، وقرر مجلس الوزراء فى جلسة طارئة قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا .

وفى تلك الليلة ، وجهت السفارة البريطانية تحذيرا الى الرعايا البريطانيين بالابتعاد عن الشوارع والبقاء فى منازلهم ، حتى تنتهى الاضطرابات .

وعندما حل الظلام ، اصبحت القاهرة هادئة مثل مدينة خاضعة لقرار حظر تجول ، وخلت شوارعها من المارة تماما .

وقرر « فاروق » ايضا ، الكف عن جولاته الليلية ، والانزواء فى قصره مبكرا . وكان قد وجه دعوة لستمائة من ضباط الجيش والبوليس الى مأدبة غداء فى قصر عابدين فى اليوم التالى ، احتفالا بمولد ابنه ووريثه ، الأمير « احمد فؤاد » .

فهل كان هو ، او اى فرد آخر يشك فى أن فجر يوم السادس والعشرين من يناير سوف يشهد نشوب ثورة ؟

وفى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى ، الذى عـرف بيوم « السبت الأسود » ، سارت حشود المتظاهـرين الذين تجمعوا فى جامعة «فؤاد » فى شوارع القاهرة متجهة الى مبنى البرلمان ، وكانت فى مسيرتها تهتف « نريد الســلاح للقتال من أجل القناة » .

وتسربت مجموعة من المتظاهرين الى قصر عابدين ، حيث صاحوا بشعارات تتهم « فاروق » والانجليز بتدبير مذبحـة القناة ، قبل أن تندفع اجموع المتظاهرين الى ميدان الاوبرا ، الذى اندلعت منه الشرارة الأولى لحريق القاهرة .

وكانت الشرارة فى كازينو «بديعة» ، حيث كان احد رجال البوليس يحتسى الويسكى فى الساعة الحادية عشرة صباحا مع احدى الراقصات ، عندما سمع صوت شخص ما يجأر فى وجهه قائلا : « الا تخجــل من أن اخــوتك يقتلون فى الاسماعيلية ؟ » فزجرهم رجل البوليس بغضب . وكان ذلك كافيا ، اذ اندفع المتظاهرون الى داخل الكازينو ، وجمعـوا مناضده ومقاعده فوق بعضها البعض واشعلوا فيها النار ، وماهى الا دقيقة واحدة ، حتى كان الكازينو متوهجا .

واذا كانت النار الاولى قد تسبب فيها فوران تلقائى من شباب الاخوان المسلمين ، الا أن ماحدث بعد ذلك لابد أنه كان مدبرا .

وانطلقت مجموعة من المتظاهرين ، كانوا يتحركون مثـــل الأرواح الشريرة ، واخذوا يشعلون النار فى كلّ المحال ودور السينما القائمة فى شارع «فؤاد» والشوارع المحيطة به .

وفى الساعة الواحدة والنصف ، وهو الوقت الذى بدأت فيه مأدبة الغداء فى قصر عابدين ، كان قلب القاهرة يحترق بضراوة .

وفى الساعة الرابعـــة انتهـــت مأدبة الغداء فى قصر عابدين . وعندها قرر « فاروق » أن يتصرف .

وقام أولا ، باستدعاء السفير الأمريكى «كافرى» الذى وصل بعد عدة دقائق .

هل كان «كافرى» يعتقد أن البريطانيين سوف يتدخلون اذا مابدا أن زمام الامور سوف يفلت ؟

وبدا «كافرى» كرجل مرتاع كان يتصرف كما لو كان يرغب في أن يصدر البريطانيون الأوامر الى قواتهم بالتدخل .. وعندما شرح «كافرى» للملك أخطار التلكؤ ، أصدر «فاروق» تعليماته الى الفريق «حيدر» بأن يستدعى جيشه الخاص .

وبعد نصف ساعة ، استدعى «فاروق» «النحاس» ووزراء حكومته كى يامرهم باعلان حالة الطوارىء ، وعندما فصل « النحاس » وحكومته ذلك ، كان هذا اقرارا منهم بتحمل مسئولية الاضطرابات ، فأقدم « فاروق » على اقالة الحكومة .

وقال «فاروق» لـ « النحاس» :

« لقد أظهرت اهمالا اجراميا فى عدم حفظ الامن والنظام فى البلاد ، واننى لأسحب ثقتى منك طالما انك لم تعد قادرا على ممارسة السلطة . »

وفى الساعة الخامسة ، وصلت أول مجموعة من القوات الى ضفاف النيل ، متأخرة عن الوقت المناسب بخمس ساعات وقاموا بتفريق المتظاهرين ، كى يفتحوا الطريق أمام رجال المطافىء للانطلاق الى قلب القاهرة لاطفاء الحرائق .

وكان اكثر من اربعمائة بناية قد دمرتها النيران ، وحوالى اثنى عشرة الف اسرة فقدت مساكنها . اما القتلى ، فلاأحد يعلم كم من المصريين قتلوا اثناء تلك الخمس ساعات والنصف الرهيبة . وهلك ستة وعشرون من الاجانب ، معظمهم من البريطانيين .

ومع أن تقديرات الخسائر كانت غامضة ، الا أن رجال الأعمال البريطانيين قدروا انهم قد خسروا ما بين ثلاثةملايين واربعة ملايين من الجنيهات ، وقدر المسئولون الخسائر كلها بخمسة وعشرين مليون جنيه ، الا ان المراقبين كانوا يعتقدون انها اكثر من ذلك بست مرات .

●● من الذي بدأ النيران واشعلها ..؟

لقد اشار اصبع الاتهام الى البريطانيين ، وانهم قد اشعلوا الحرائق كي يوفروا لانفسهم مبررا لاحتلال البلاد كلها ..

ويقرن اسم « فاروق » بالبريطانيين .. وهنا قد يوجـد حافز حقيقي . لقد اراد من الحرائق ان تمتد وتزداد حـدة وعنفا بدرجة « تحرق » الوفد ، مما يوفر له ذريعة للتخلص منه نهائيا .

وقد كسب «فاروق» كثيرا من الحـرائق فى الواقـع ، وبدا كما لو كان قد قامر وانتصر . لقد اطاح بالوفد الى الابد وقد تصرف كرجل ذى عزيمة بان قام بقمع المتظاهرين بواسطة الجيش .

وفى مساء يوم « السبت الاسود » ، استدعى « فاروق » مستشاره كي يساعده فى اختيار حكومة جديدة .

وكان السؤال الذي برز في ذلك الوقت : من الذى يتمتـع بقوة تمكنه من رئاسة الحكومة الجديدة ؟ووقع اختيار« فاروق» ورئيس بلاطه « حافظ عفيفى »« على « نجيب الهلالى » .

وانطلق «حافظ عفيفى» بصحبة «الياس اندراوس »باحدى سيارات القصر عبر حطام القاهرة ، فى الساعات الاولى من يوم الاحد لايقاظ «الهلالى» ، وابلاغه بان الملك قد عينهرئيسا للوزراء . فعبر«الهلالى» عن شكره للملك ، ثم اعتذر قائلاللرجلين: « كيف يمكننى تشكيل حكومة بينما اصوات طلقات البنـادق لاتزال تدوى .. من الافضل لكما ان تتوجها الى « علـى ماهر » .

وفى ذلك اليوم نفسه ــ الاحد ــ شكل « على ماهر »حكومته التى تمكنت من اعادة الامن والنظام الى العاصمة ، واوقفت عمليات الفدائيين ، واوصت باستئناف المفاوضاتمع البريطانيين

الا ان حكومة « على ماهر » لم تستمر فى الحكم الاربعةاسابيع فقط، وكان «كريم ثابت » وراء سقوطها .اذ اخذذلك الرجل

الذى كان همه الأول والرئيسى هو اثراء نفسه على حساب اى شيء آخر ، يهمس فى أذن «فاروق» أن « على ماهر » رجل خطير ، وانه يتآمر مع الوفد بدلا من العمل على تحطيمه .

وهكذا ، اضطر « على ماهر » فى اليوم الثانى من شهر مارس الى تقديم استقالته ، التى قبلها الملك « فاروق » على الفور .

وشهدت مصر بعد ذلك فترة من الاضطرابات السياسية ، تعاقبت عليها اثناءها ثلاث حكومات : الاولى برئاسة « نجيب الهلالى » ، والثانية برئاسة «حسين سرى» ، والثالثة برئاسة «نجيب الهلالى » أيضا، والتى كانت آخر حكومة تولت السلطة فى مصر قبل قيام الثورة فى ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ .

●●●

الجزء الثامن

فاروق فى المنفى

بينما كان «فاروق» يلعب القمـــار ويعربد ، كان الشعب يعانى من ازمات اقتصادية حادة ، فكان الحل النهائى على يد مجموعة من ضباط الجيش .. ولم يحدث أن انهار عرش بسهولة تامة مثلما انهار عرش « فاروق» .



كان الجيش ، أو بالأحرى مجموعة صغيرة من داخل الجيش المصرى ، هى التى اضطلعت بمهمة انقاذ البلاد والشعب مما كان ينتظره من مصير قاتم .

وكان مركز الثورة مجموعة عرفت باسم الضباط الاحرار ... وكانوا يرون أن الجيش وحده هو القادر على القضاء على الفساد المستشرى فى البلاد ، منذ حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ .

وكان الأمل الوحيد بالنسبة لـ « فاروق » هو عقد تحالف مع مجموعة الضباط الأحرار ، لكنه ضل طريقه واصطدم بهم ، متحديا انتخاب « محمد نجيب » عضوا فى مجلس ادارة نادى الضباط ذى النفوذ الكبير ، وحاول نقل « محمد نجيب » الى موقع ناء فى البلاد ، وعين لمنصب وزير الحربية رجلا يحظى بكراهية كل الضباط الأحرار لتورطه فى فضائح صفقات وعقود الأسلحة للجيش المصرى .

وبدا للضباط الاحرار فى ذلك الوقت أن « فاروق » على وشك أن يجرى حملة تطهير فى الجيش ، فقرر الضباط الأحرار سرعة التصرف ، فكانت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، التى خلصت مصر من هذا الكابوس .

وحققت الثورة نجاحا عظيما ، رغم أنها اعتمدت على مجموعة صغيرة من الضباط ولم تكن قد إتخذت لهـا الاستعدادات والاحتياطات المناسبة . ففى خلال ساعة واحدة ، كان الضباط الاحرار والقوات الخاضعة لهم قد احتلوا كل موقع حيوى فى العاصمة والمدن الكبرى .

لكن « فاروق » لم يكن فى القاهرة فى تلك الليلة . بل كان فى الاسكندرية . وطار عدد من الضباط الاحرار الى هنــاك لاحباط أى انقلاب مضاد . ولم يواجه الضباط الاحرار أى متاعب أو عقبات فى اعتقال الملك الذى كان محاصرا فى قصره برأس التين .

ماذا يفعلون به ؟

وكان السؤال الذى فرض نفسه فى ذلك الوقت هو :

ماذا سيفعلون به بعد أن تم اعتقاله ؟

وهكذا ، وفى احدى الثكنات العسكرية بمدينة الأسكندرية، جلس عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، لعقد محاكمة فورية لـ « فاروق » .. هل يعدموه ؟..

وعلى مدى عدة ساعات ، جرت مناقشــات حاميــة بين الحاضرين ، وطالب قائد الجناح « جمــال سالم » باصدار حكم الاعدام ضده ، وقدم حيثيات لذلك بأن أعلن :

« انه قاتل ، ولابد من شنقه مثلما يشنق القتلة والمجرمون . انه قائد خان جيشه ، ولابد من اعدامه باطلاق النــار عليه ، مثله مثل كافة الخونة . »

لكن كان نصف أعضاء مجلس قيادة الثورة هم الحاضرين فقط فى ذلك الاجتماع . وأصر « محمد نجيب » على وجوب معرفة رأى الأعضاء الآخرين الموجودين فى القاهرة .

وكان الحكم الذى جاء من باقى الضباط الاحرار فى القاهرة «الصفح عن «فاروق» ، مع ابعاده عن البلاد بأسرع مايمكن».

وكان ذلك الرأى هو الذى ساد .

التنازل والرحيل

واعد قاضيان من المحكمة العليا الصيغة الرسمية لتنازل الملك « فاروق » عن عرشه ، وكان نصها كالآتى :

« نحن فاروق الأول ... لما كنا دائما نسعى لسعادة وخير شعبنا ، ونرغب باخلاص فى انقاذهم من المتاعب التى ظهرت فى هذا الوقت العصيب ، ومن أجل ذلك فاننا نخضع لارادة الشعب . وقد قررنا التنازل عن العرش لصالح وريثنا ، الأمير « أحمدفؤا » . وفى هذه الوثيقة اعطى أوامرنا الى سعادة«على ماهر » باسا ، أن يتصرف طبقا لذلك . »

ووقع « فاروق » وثيقة تنازله عن العرش . وقد وقع مرتين ، فى الواقع ، لأنه شعر بأن التوقيع الأول ليس سليما تماما ...

وفى الساعة السابعة من مساء يوم ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٢ شق اليخت الملكى «المحروسة» ، طريقه بين سفن الأسطول المصرى فى ميناء الاسكندرية ، وعلى ظهره وقف «فاروق» ،عارى الرأس ، يحلق بذهول الى المجهول .. الى الأفق البعيد . وقد رفعت كل سفينة فى الميناء أعلامها كتحية وداع .. لكن الميناء كان خاليا الا من جمع ضئيل ، وكان كل شىء هادئا ، الا من احدى وعشرين طلقة انطلقت من الطرادة تحيى الملك « فاروق » . وكانت هذه الطلقات بمثابة التحية الاخيرة ، لكنها كانت فى الواقع تنفيذا لآخر التماس تقدم به الملك المخلوع .

فى المنفى

وتوجه « فاروق » وزوجته « ناريمان » وابنه وحاشيته

الى «نابولى» ، فى أول الامر ، لكنهم مالبثوا أن استقروا بعد ذلك فى فيللا تبعد مسافة نصف ساعة بالسيارة عن «روما»

وكان « فاروق » فى الثانية والثلاثين من عمره فى ذلك الوقت وكان معه فى المنفى خمسة وعشرون شخصا من حاشـــيته السابقة .

وكان كل مساء يتوجه بسيارته الى « روما » حيث يتناول عشاءه فى كافيه « دى بارى » ، ثم يتردد على عديد من الملاهى الليلية والنوادى التى تقدم رقصات خليعة . ولما كان فى ذلك الوقت ينفق من أمواله الخاصة ، فقد حرص على الابتعاد عن كازينوهات القمار ، الا انه مع ذلك كان يقامر فى عدد من الأندية الصغيرة القريبة من ميدان « باربرينى » بروما .

كما كان ينفق عدة شلنات كل أسبوع فى ملاعب كرة القدم الايطالية ، أو يقضى عدة ساعات فى تبديد الليرات فى احتساء عصير الفواكه من ماكينات الفواكه الآلية .

الا أن أخبار « فاروق » مالبثت ، رغما عن ذلك ، أن احتلت العناوين الرئيسية فى الصحف ، اذ بدأت « ناريمـــان » تتململ من حياة المنفى ، ومن دورها كملكة معزولة ، وبدأت تحتج على الطريقة التى يحيا بها « فاروق » ، واســـرافه ومطارداته للنسـاء .

وجاءت أمها المروعة ، السيدة « أصيلة صادق » ، لتقيم معها فى فيللا « فاروق » . ومن يومها بدأ الشجار والصدام بين « فاروق » والسيدتين ، وكان الطفل « فؤاد » هو الغنيمة . اذ انتهت المشاحنات والخناقات برحيل « ناريمان » وأمها عن الفيللا بدون الطفل .. وحصلت «ناريمان» بعد ذلك علـى الطلاق ، على أساس حرمانها من طفلها .

وبرحيل « خلويمان » ، ترك « فاروق» الفيللا ، وانتقل الى شقة في « روما » .

ليالي الصياعة

في رومـــا

وفي احدى الليالي ، وفي مطعم إسمه «بلغدير دي روز»، التقى « فاروق» بـ « ايرما كابيتش مينوتولو » ، وهـي فتاة ايطالية في الثامنة عشرة من عمرها ، ابنة سائق تاكسي مـن « نابولي » ، كانت تحاول أن تصبح ممثلة ، وكانت في تلك الليلة تشترك في احدى مسابقات الجمال .

وعندما خسرت ، احتج « فاروق » بشدة ، وبعـد انتهـاء العرض ، دعاها الى مائدته ، وتطور اللقاء الى علاقة وثيقـة بين « فاروق » وتلك الفتاة الى أن توفي .

وفي نهاية ١٩٦٤ ، أصيب « فاروق » بانســداد بسيط في شريانه التاجي ، وعلى الرغم من أنه كان لايزال في الرابعة والاربعين من عمره ، الا أنه كان بطيء الحركة والمشي ، وبدا وكأنه أكبر من عمره الحقيقي عشرين عاما .

وفي ١٧ من مارس سنة ١٩٦٥ قام بزيارة « ايرما كابيتش مينوتولو » ، وهو في طريقه الى مطعم الـ « دي فرانس » ليتناول عشاءه مع صديقة اخرى له ، هي « انا ماريا جاتي » ، العاملة في أحد محلات الكوافير .

وتوجه «فاروق» الى شقة « آنا ماريا » ، وصحبها معه ، ووصلا الى المطعم قبل انتصاف الليل بساعة .

النهاية



وأكل فاروق دستة من المحار وجراد البحر ، وشريحتين من لحم الحمل ، مع بطاطس محمرة وبقول فرنسية ، ورفض أكل الفطائر المحلاة ، لأنهم كانوا قد وضعوا خمورا بها ، لكنه أكل كمية كبيرة من الكعك المحشو بالمربى والفـــواكه . وجلس « فاروق » بعد هذه الوجبة الدسمة ، مستلقيا على أحد المقاعد الوثيرة فى المطعم ، وقد أشـعل سيجارا بدأ ينفث دخـــانه بهدوء ، عندما سمع نزلاء المطعم صوتا وصيحة من قاعـة « سانت تروبيز» تطلب النجدة ،وهناك شاهدوا «فاروق» ملقى فى أحد أركان القاعة ، وقد احمـر وجهـه ، ويـــداه مرفوعتان الى حلقه .

فانطلق البارمان ناحيته ، وحمله والقاه بهدوء وراحة على احدى الكنبات المنتشرة فى القاعة ــ وكان قد شـــاهد عمليات انعاش تجرى أمامه فى أحد المستشفيات ــ وبدأ يرفع ساقى « فاروق » الى أعلى ثم يخفضهما الى أسفل .

ووصلت سيارة اسعاف الى المطعم خلال دقائق ؟ وحـاول الدكتور « نيقولا ماسا » انعاش قلب الملك السابق فى قاعـة العشاء وفى سيارة الاسعاف أثناء نقله الى المستشفى ...

وهناك ، وضعوه فى خيمة أوكسجين ، واستمروا فى عمليات انعاش القلب ، الا أن قلب « فاروق » لم يستجب قط لمحاولات انعاشه ، وكان « فاروق » قد فقد الوعى تماما ، وأخذ نبضه يتذبذب بصورة مستمرة .

وفى الساعة الواحدة والنصف صباحا ، توقف نبض«فاروق» نهائيا ... لقد مات الملك السابق « فاروق » .. آخر ملوك مصر ، وهو فى الخامسة والأربعين من عمره .

وقد اثارت وفاته خرافة اخرى ، اذ ترددت اشـــاعة فى الخارج ، وفى داخل مصر كذلك ، أن نظام الحكم الجديدقد نجح أخيرا فى أن يقتله بالسم . ولم يجر أى تشريح للجثـة لتكذيب هذه الاشاعة ، إلا أن الاطباء الايطاليين اجروا فحصا دقيقا للجثة بعد الوفاة ، وقد أكدوا أن الاعراض كانت بالغة الوضوح لدرجة لا تستدعى اى اثبات . لقد كان « فاروق » يعانى من نوبة مرضية فى المخ، كثيراماتوقع أطباؤه حدوثها. ولم يكن هذا امرا غير عادى بالنسبة لرجل فى وزنه وبضغط دمه المرتفع .

وعندما سمعت صديقته « ايرما كابيتش مينوتولو » بخبر وفاته ، اتصلت تليفونيا ببناته فى سويسرا ، اللذين قدموا فى اليوم التالى الى روما .

ولم يترك «فاروق» وصية ، ولم يترك اية تعليمات تتعلق بأمتعته ومتعلقاته وثروته .

وقد تساءل أقرب أصدقائه عما حدث لتلك الأموال الطائلة التى كان قد هربها من مصر فى آخر سنوات حكمه . وأكـدوا أن الرجل الوحيد الذى كان فى مقدوره الاجابة عن ذلك السؤال هو : « أنطونيو بوللى » ، اذ كان يعـــــرف الأرقام والأسماء المســـتعارة التى كان « فاروق » يســـتخدمها فى حساباته ببنوك سويسرا .

ولم يحزن احد من خارج دائرته الصغيرة ، على وفاته قط .

وقد أثارت وفاته مشكلة : أين يتم دفنه ؟ ..

لقد عبر « فاروق » كثيرا عن رغبته فى أن يدفن بجــوار والده وبجوار معظم اسلافه الآخرين فى جامع «الرفاعى». وفى ٢٠ من مارس سنة ١٩٦٥ نقل جثمانه من دار حفظ الموتى بروما الى كنيسة صغيرة ، حيث أقيمت شعائر اسلامية بسيطـة بحضور بناته الثلاث وابنه «فؤاد» وملكته السابقة « فريدة»

واثنتين من شقيقاته وصديقته « ايرما كابيتشي » تقـل الجثمان بعدها الى جبانة المدينة فى روما .

وقد كللت مساعى أحد اقربائه وهو «اسماعيل شرين» لدى السلطات فى مصر ، وهى مساع استمرت عشرة أيام ، وافق بعدها «جمال عبد الناصر » على أن يتم احضار جثمان « فاروق» الى القاهرة حيث يجرى دفنه ، ولكن بصورة سرية.

وهكذا ، وفى يوم ٢٧ من مارس سنة ١٩٦٥ ، نقلت طـائرة كوميت تابعة لشركة الطيران العربية المتحدة ، جثمـان « فاروق» الى القاهرة ، التى وصلتها فى منتصف الليل . ومن مطار القاهرة تم نقل الجثمان الى قبر «ابراهيم بن محمد على » ، حيث تم دفنه فى الساعة الثانية بعد منتصف تلك الليلة . وفى تلك اللحظة ، لم يكن يسمع هناك الا صوت بكاء شقيقتيه « فوزية» و « فايقـة » ، اللتين حضرتا مـع زوجيهما ، وصوت الشيخ « سيد » ، المقرىء المحلى ، الذى كان يتلو بعض الآيات القرآنية ..

واستغرقت عملية الدفن عشر دقائق ، رحل الجميع بعدها ، كل الى حاله ، ماعدا شخص واحد .. رجل عجوز أشـيب الشعر ، ظل واقفا وعيناه تنظران الى الأفق البعيد ، وعقـله وذاكرته يستعرضان ماشاهده طوال فترة طويلة مضت ، وكأنه شريط سينمائى يعرض أمامه .

فعلى امتداد كل تلك السنوات ، كان هذا الرجل واسمه « حافظ خطاب » قد شاهد « فاروق » عند قدومه من بريطانيا وهو لا يزال طفلا ، وشاهد تتوجه كملك ، وشاهد رحيله .. وهاهو ، وقد أصبح راعى القبور الملكية ، قد سـاعد فى مراسم دفنه .

●●●

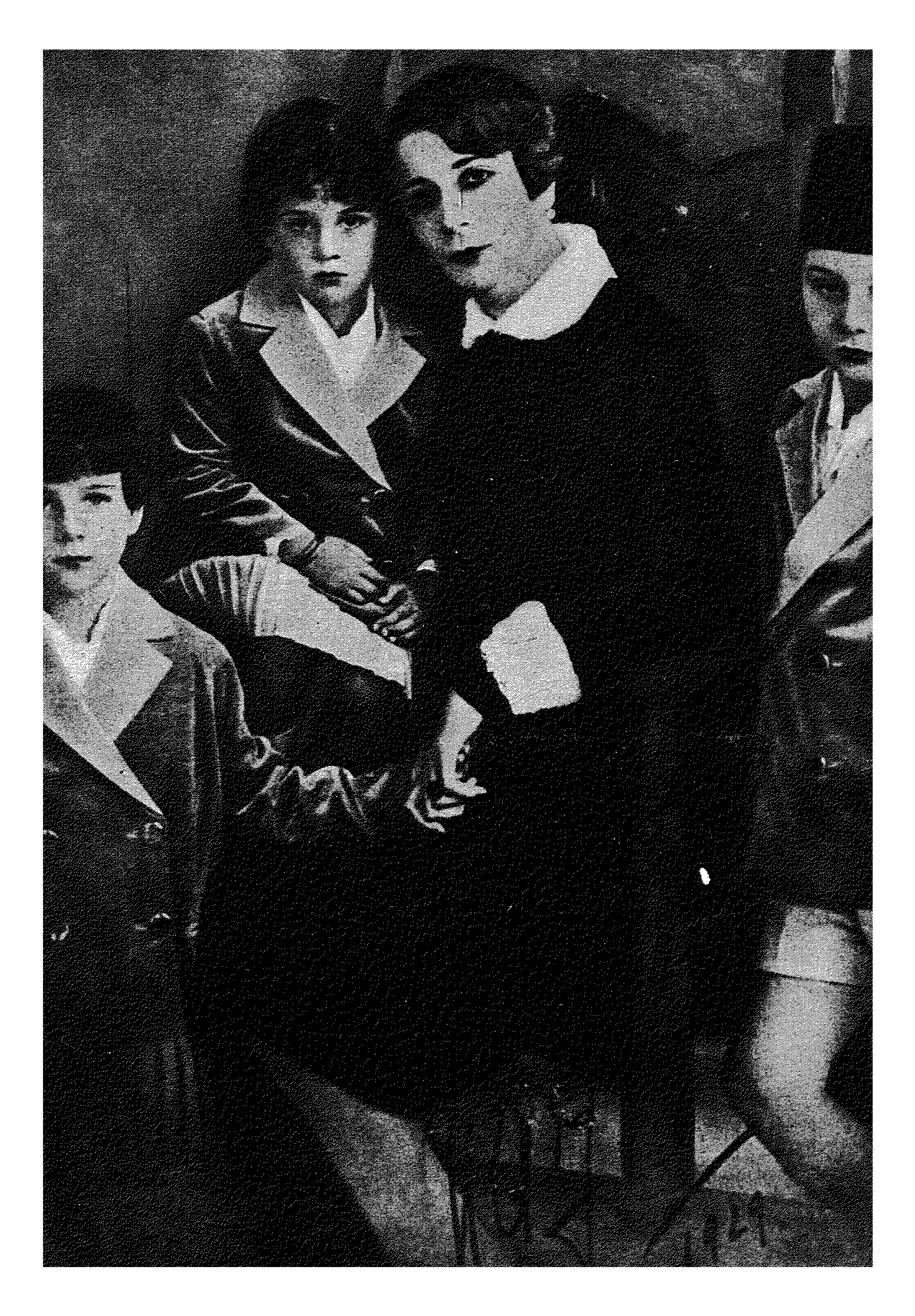
آخر ملوك مصر بالصور



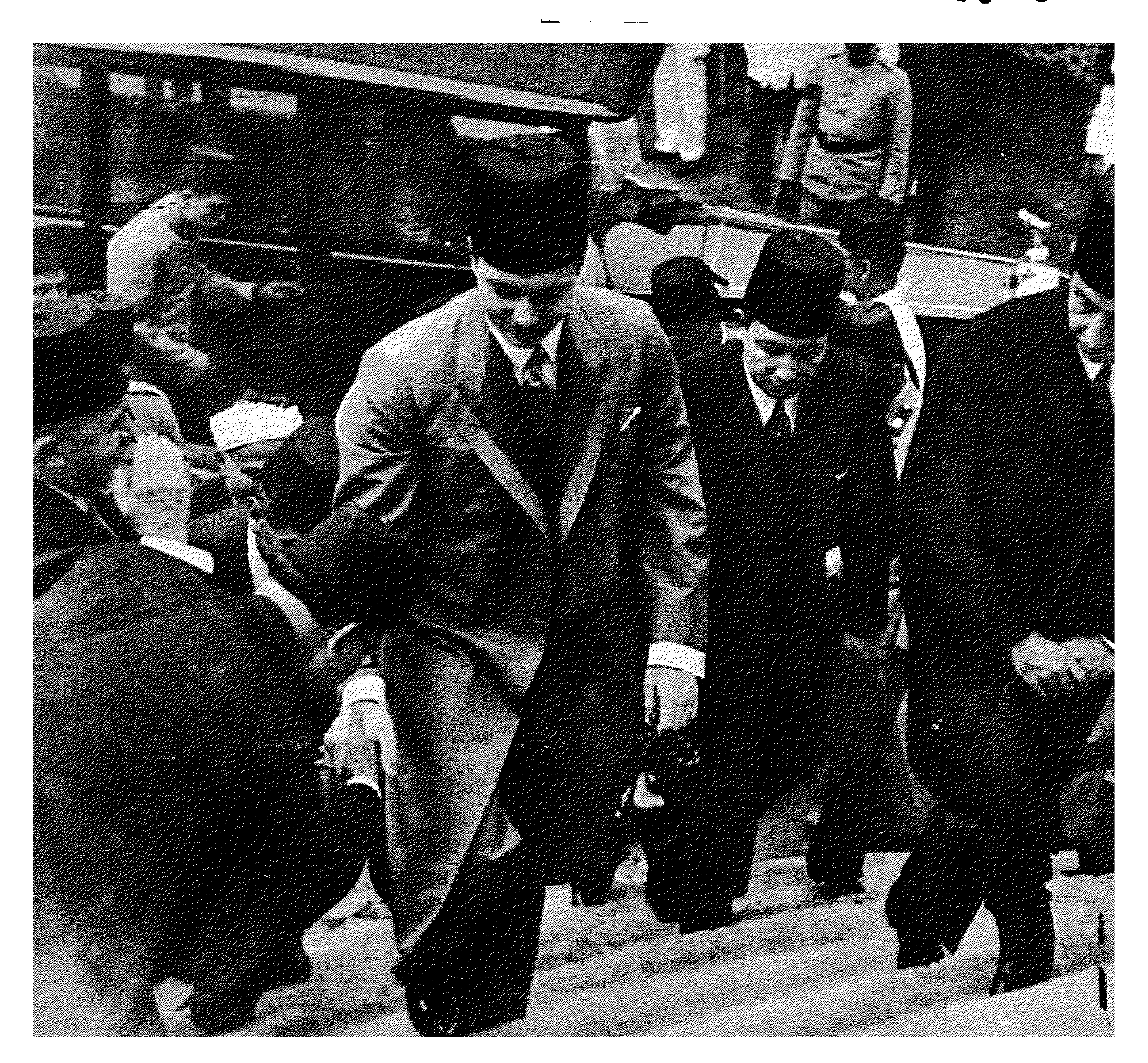




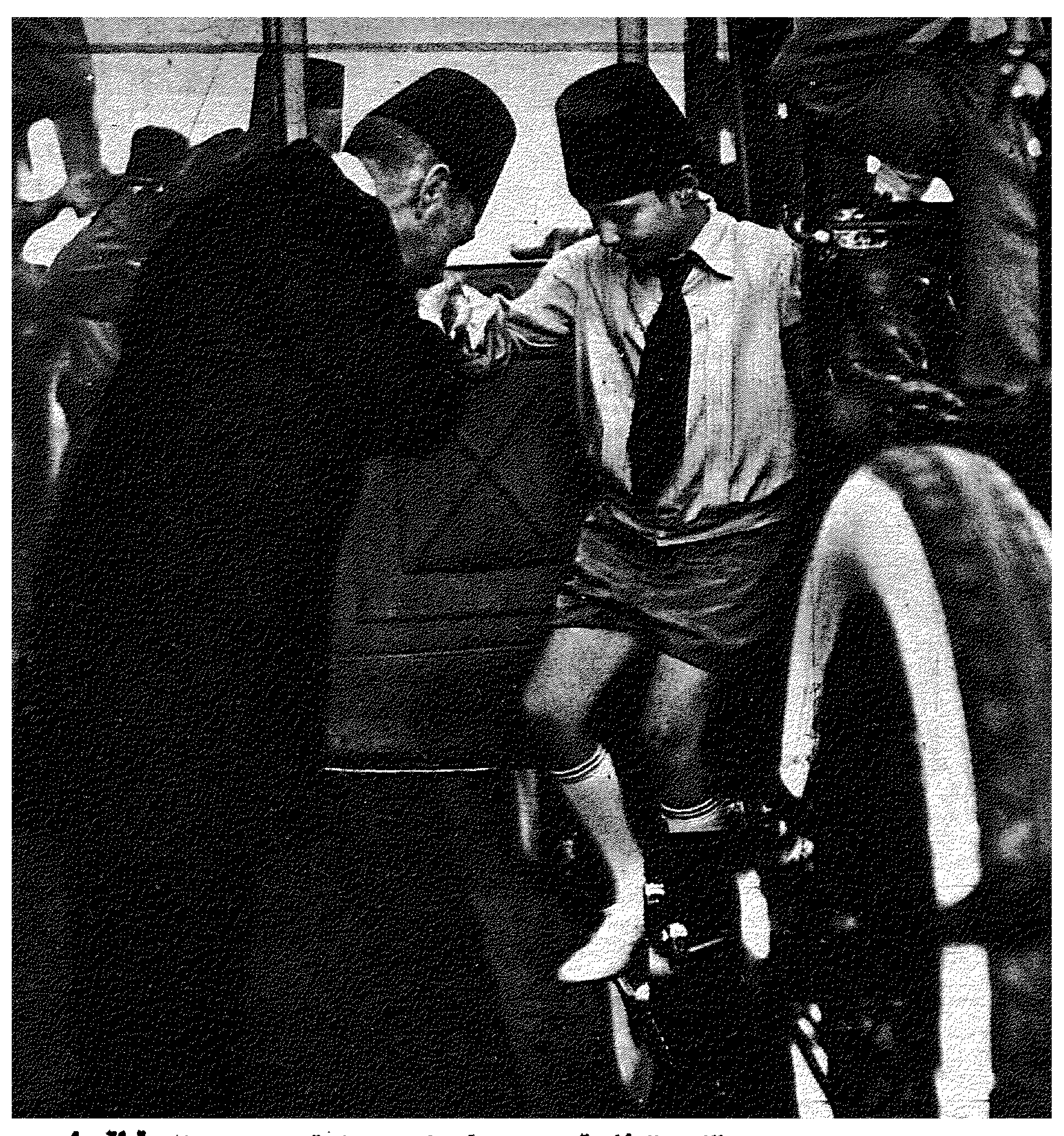
كان « فاروق » في طفولتـه .. أملا لوالده « فؤاد » ، لـكن هذا الأمل ما لبث أن تحول الى نكبة أطاحت بأسرة « محمد على » كلها ، في النهاية ..



الملكة الام «نازلى» ، وابناؤها الاربعة : « فاروق » و «فوزية» و «فوقية» و «فتحية» (١٩٢٩) .



الملك السابق « فاروق » ورجال حاشيته واعضاء وزارته ، فى طريقهم لحضور حفلة فى دار الاوبرا . . . .

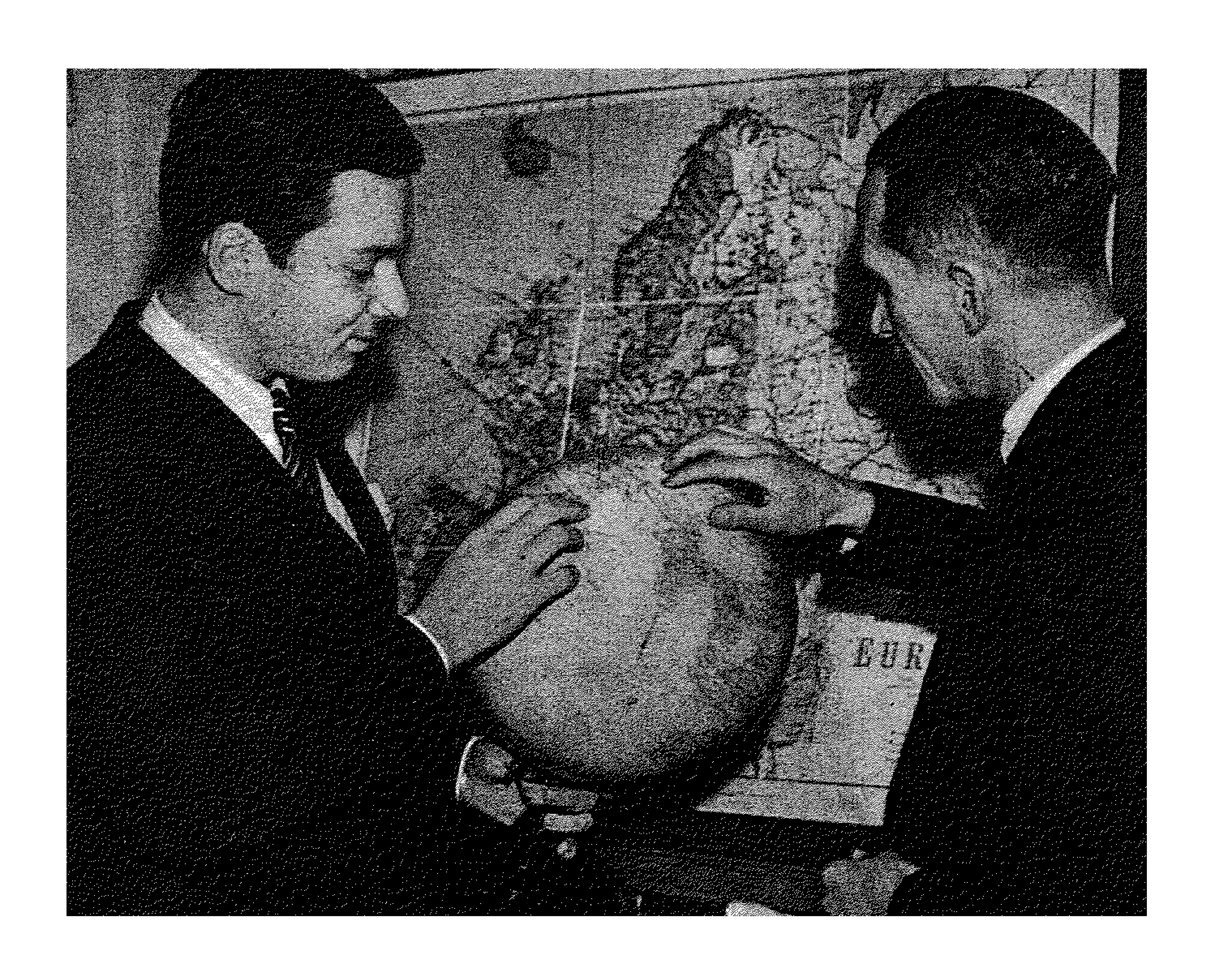


الامير « فاروق » وهو في الحادية عشرة من عمره ، وقبلة على يده من احـــد رجال البـلاط ...

والى اليسار « فاروق » في اول لقاء بينـــه وبين سير « مايلز لامبسون » ، السفير البريطاني في القاهرة ، اثناء احد العروض العسكرية للقوات البريطانية في مصر



« أحمد حسنين » مع « فاروق » فى لندن ..
كان يعلمه الجغـــــرافيا بالنهار ويتسلل
به الى الكباريهـــــــات فى الليـــل ..



انحناءة تحية من « النحاس »
باشا وابتسامة من « فاروق ».



فى انشاص كان « فاروق » ،
يمارس هواية الصيد . . .



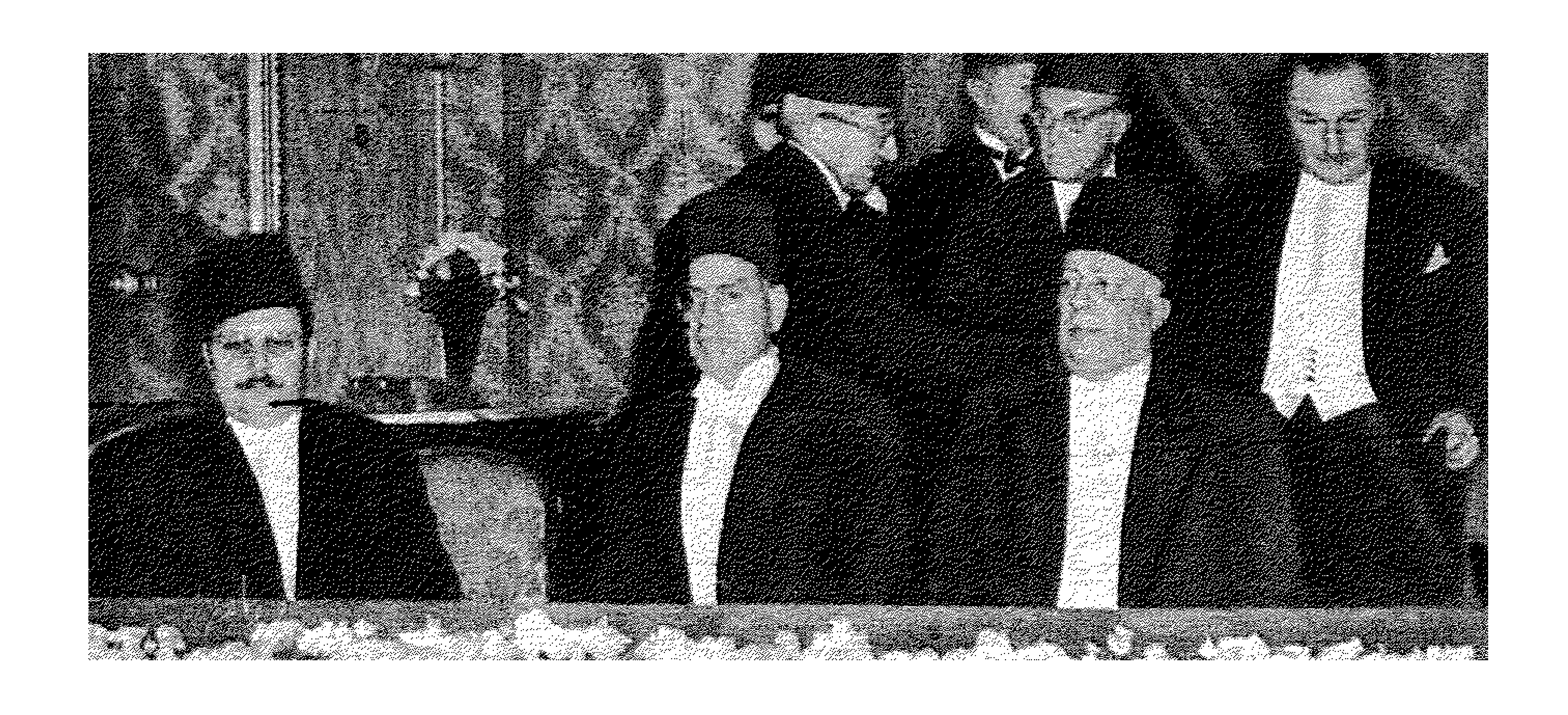
.. والى اليسار اول لقاء بين الملك « فاروق » و «ونستـــون تشرشل» ، رئيس وزراء بريطانيا اثنـاء الحرب العالمية الثانية..



الملك « فاروق » يتوسط اعضاء وزارة « النقراشى » .. وحوار بينه وبين القائد العام للقـوات البريطانية فى مصر ، في احـدى الحفلات الرسمية بقصر عابدين.

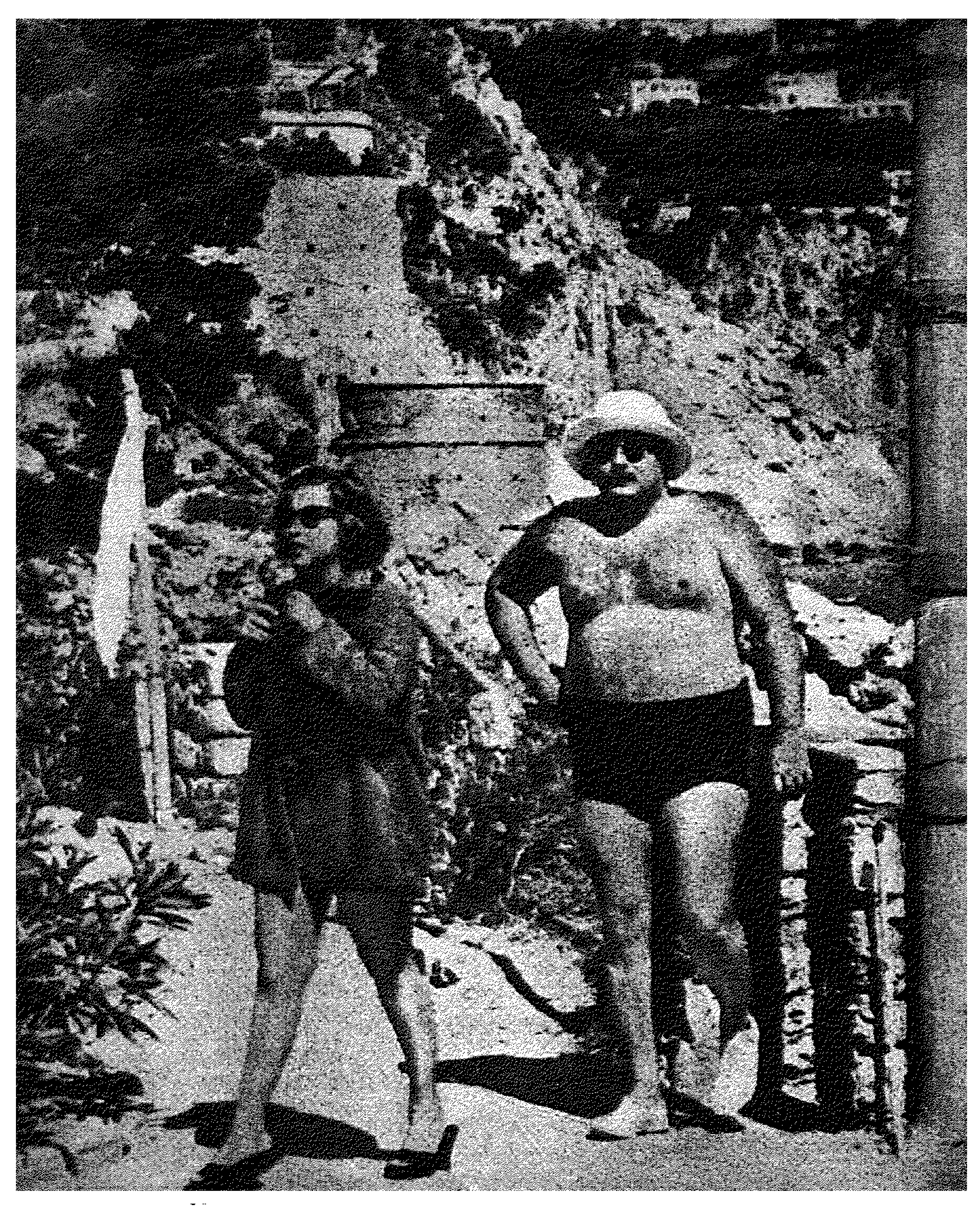




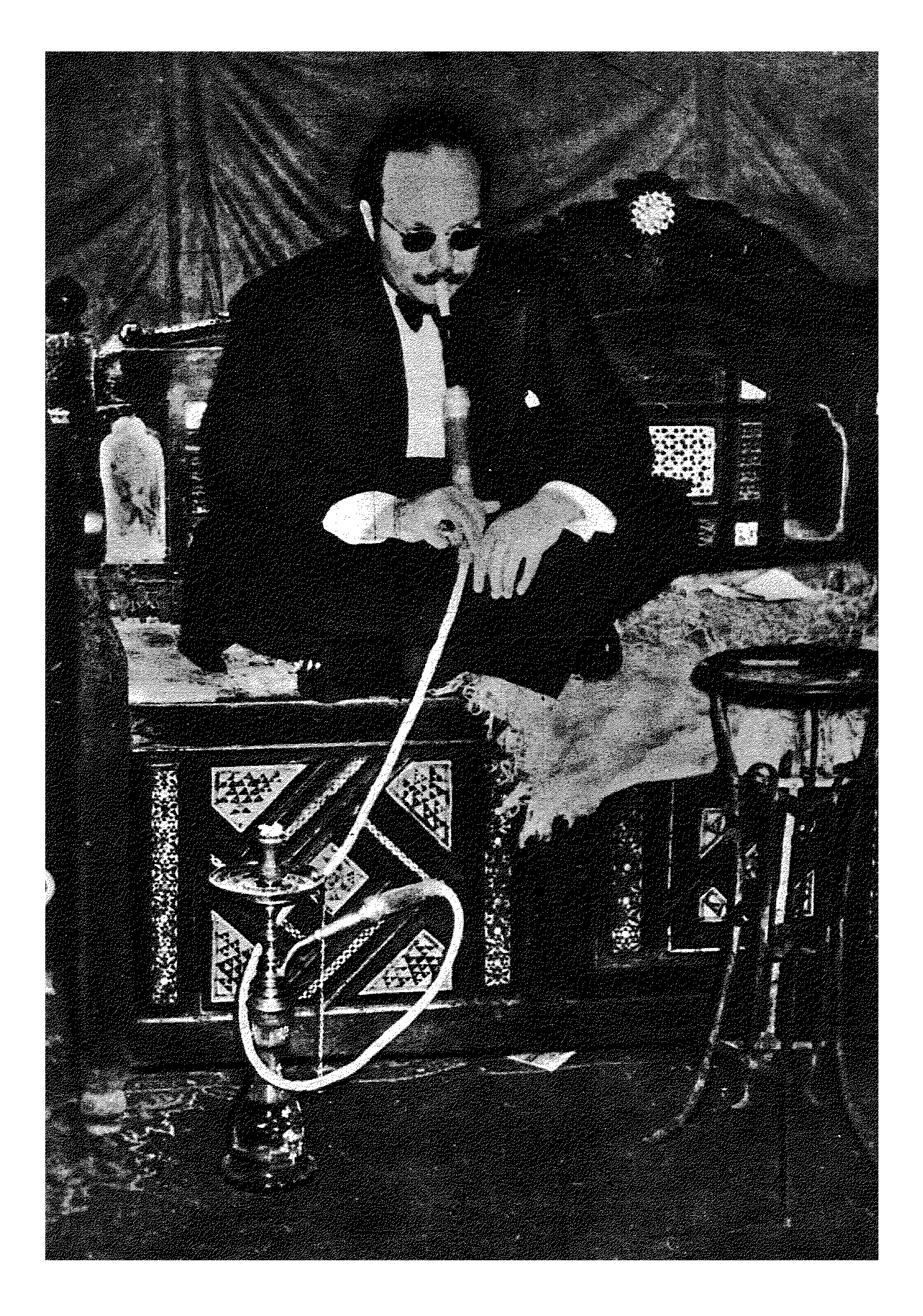


الملك « فاروق » و « النحاس » و « حسين سرى » فى احـــدى الحفـــلات بدار الاوبرا .. ثم « فاروق » عند وصوله لحضـور احدى الحفلات وقبلة تحية وتقدير من الفريق « حسين فريد » رئيس هيئة اركان حرب الجيش المصرى





الى اليمين « فاروق » مع آخـــر ملكاته « ناريمان » فى اول صـــورة
تلتقط لهما فى قصر عابدين مـــع ولى عهده « احمد فؤاد » .. ثـم
صورة لهما فى كابرى بعد أن طردمن مصــــر ...





الى اليمين « فاروق »» وحيداً يدخن الشيشة بينما كان عقلـه مشغولا فيما أصبح يحيط به من المشكلات التى ألقـت ظـلالا قاتمة على مستقبله . والى أعلى .. « فاروق » فى آخر أيامه يبدو ساهما ، الا أنه مع ذلك لم يكف عـن لهـوه وعربدته ومغامـــــراته النســائية ..



فاروق مع صديقته الايطاليـــــة الحسناء « ايرما كابيتش » قبـل
أيام من لحظاته الأخيرة ......



